جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليـــا

دلالة النص الشعري في تفسير النص القرآني

(دراسة في الدلالة النصية للقرآن الكريم)

إعداد
وائل عبد الله حسين أبو محيي الدين

إشراف
أ. د. يحيى عبد الرؤوف جبر

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
2004

دلالة النص الشعري في تفسير النص القرآني

(دراسة في الدلالة النصية للقرآن الكريم)

إعداد

وائل عبد الله حسين أبو محيي الدين

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ ١١/ ٩/ 2004م وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. الأستاذ الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر (رئيساً)	....
2. الدكتور زاهر حنني (ممتحناً خارجياً)	....
3. الأستاذ الدكتور خليل عودة (ممتحناً داخلياً)	....

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل إنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحْيايَ وَمَماتي للهِ رَبِّ العالمين * لا شَريكَ لهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وأنا أوَّلُ المُسْلِمين ﴾

الإهداء

إلى سيدي رسول الله ... حباً وتقرباً وموالاةً

إلى روح والدي العزيز وأمي الحبيبة الصابرة

(وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا)

إلى زوجتي الغالية ووالديها الأفاضل

إلى قُرّتيْ العين نور الدين وحمزة

إلى كل إخواني وأخَواتي الأعزاء

إلى صديقي أبي مؤمن محمد

إلى كل محب لدينه، معتز بلغته، غيور على أمته وشعبه

إلى كل مجاهد حتى تكون كلمة الله هي العليا

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

أولا وقبل كل شيء فإن العرفان بالجميل يقضي – وفاء لأهل الفضل – أن أتقدم بجزيل شكري, وفائق تقديري, لأستاذي الفاضل, الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر, الذي تفضل – مشكورا – بالإشراف على هذا البحث, إرشادا وتوجيها, حتى ظهر البحث على الصورة التي هو عليها.

كما أتقدم بخاص شكري للأستاذ الفاضل عماد أبو الحسن على ما قدم لي من معونة حتى شملني برعايته, وأفدت من علمه ومكتبته, ولمست مؤازرته وتشجيعه. وكان كالبدر في الليلة الظلماء بل أكثر.

كما أخص بالشكر أخي عدنان جلامنة من مكتبة جامعة اليرموك لما بذله من جهد حتى وفر لي مادة دراسية كبيرة, كان لها دور مهم في إنجاح هذه الدراسة وإثرائها.

وأتوجه بالشكر ـ أيضا ـ لأستاذي الفاضل إبراهيم عبد الكريم, فقد تتلمذت على يديه طالبا, وزاملته مدرسا, وكان مثال المدرس الذي يجود بعلمه وعطائه من غير حساب.

كذلك أتوجه بالشكر للأستاذ وليد جرادات لما بذله من جهد في ترجمة ملخص الرسالة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية.

وأتقدم بالشكر الخالص ـ أيضا ـ للصديق خالد زواوي على ما هيأه لي من ظروف كانت خير معين على الدراسة والتواصل.

ولا يفوتني أن أشكر كل أخ كان له أي دور في إنجاح هذا البحث وإخراجه إلى حيز الوجود, لاسيما الأستاذ أحمد عاروري الذي قام بطباعة البحث وإخراجه.

ولا أملك إلا أن أسأل الله عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم. إنه نعم المولى ونعم النصير.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
أية قرآنية	ج
الإهداء	د
شكر وتقدير	ه
قائمة المحتويات	و
الملخص	ح
المقدمة	1
تمهيد : مفهوم النص	3
مفهوم النص : النص اللغوي	3
النص الشعري	12
النص النثري	12
مفهوم التناص	13
مفهوم التناص عند القدماء	16
الفصل الأول: دلالات النص	**28**
مسلك الفلاسفة واللغويين في الدراسة الدلالية	29
مسلك الأصوليين والفقهاء في دراسة دلالات الألفاظ	31
دلالة الألفاظ: دلالة العبارة	32
إشارة النص	32
دلالة النص	34
اقتضاء النص	35
الواضح الدلالة: الظاهر	36
النص	36
المفسّر	39
المحكم	40
غير الواضح الدلالة: الخفي	41
المشكل	41
المجمل المتشابه	42

في دلالة اللفظ العام	44
دلالة اللفظ الخاص	47
في دلالة اللفظ المشترك	48
دلالات القرائن : قرائن لفظية متصلة	51
قرائن لفظية منفصلة	52
دلالات المفهوم: مفهوم الموافقة	53
مفهوم المخالفة	53
دلالة التضاد	55
الفصل الثاني: لغة الشعر ولغة القرآن الكريم	**57**
لغة الشعر: لغات (لهجات) العرب	58
اللغة المشتركة	62
لغة الشعر	64
لغة القرآن الكريم: اللسان العربي المبين	69
الأحرف السبعة	74
القراءات القرآنية	78
الفصل الثالث: النص والتناص في الشعر وفي القرآن الكريم	**82**
النص والتناص في الشعر وفي القرآن الكريم	83
القراءات القرآنية واللهجات العربية في ظل الشاهد الشعري. قراءة في بعدي التناص والدلالة.	88
التناص والدلالة في اختلاف القراءات واختلاف اللهجات	101
وجوه الاختلاف	110
مظاهر التناص	123
قبل الختام	155
الخاتمة	156
المصادر والمراجع	159
الملخص باللغة الإنجليزية	b

دلالة النص الشعري في تفسير النص القرآني
(دراسة في الدلالة النصية للقرآن الكريم)
إعداد
وائل عبد الله حسين أبو محيي الدين
إشراف
أ. د. يحيى عبد الرؤوف جبر

الملخص

تناول هذا البحث دلالة النص الشعري في تفسير النص القرآني, وتوزعت مستويات البحث على تمهيد وثلاثة فصول, خصص التمهيد لتأصيل النص والتناص, وبيان مفهوميهما, ودلالاتهما, وفي العلاقة بينهما قديما وحديثا, ورصد وقائع التطور ومساحته.

وخصص الباحث الفصل الأول لدراسة الدلالات, مبينا مسلك الفلاسفة واللغويين في الدراسة الدلالية, ومسلك الأصوليين والفقهاء في دراسة دلالات الألفاظ. حيث يتم البحث في طريق دلالة النص, من خلال عبارة النص, وإشارة النص, ودلالة النص, واقتضاء النص. كذلك في الواضح الدلالة, كالظاهر, والنص, والمفسَّر, والمحكم. وفي غير الواضح الدلالة, كالخفيّ والمشكل, والمجمل, والمتشابه. كما تناول هذا الفصل دراسة الدلالة في اللفظ المشترك, واللفظ العام, واللفظ الخاص, واللفظ المترادف. كما تم البحث في دلالات المفهوم, كمفهوم الموافقة, ومفهوم المخالفة, ومفهوم التضاد. حيث تم الاستشهاد والتمثيل لكل ما سبق بنصوص قرآنية ومناقشةُ تلك النصوص.

أما الفصل الثاني فقد تناول فيه الباحث بالدراسة لغة الشعر ولغة القرآن الكريم, وتركزت الدراسة في لغة الشعر حول لهجات العرب, واللغة المشتركة بوصفها مداخل مهمة لدراسة لغة الشعر. أما لغة القرآن فتم التركيز فيها على دلالة اللسان العربي المبين, إضافة للقراءات القرآنية وموضوع الأحرف السبعة. ثم أجرى الباحث موازنة عاجلة بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم.

وجاء الفصل الثالث, الأخير, حيث تناول الباحث فيه جدلية العلاقة بين النص والتناص في القرآن وفي الشعر إضافة إلى القراءات القرآنية واللهجات العربية, وقراءة في بُعدي التناص والدلالة, وذلك في ظل الشاهد الشعري, عارضا للعلاقة الواضحة بين القراءات القرآنية واللهجات العربية, إذ تقدم لنا القراءات مادة لهجية كبيرة تعيننا على تصور اللهجات العربية تصورا أوضح, كما أن القراءات هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي واللهجي الذي كان سائدا قبل الإسلام, إضافة إلى أن القرآن هو أصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية. وتناول هذا الفصل أيضا وجوه الخلاف في القراءات القرآنية, مستعرضا آراء عدد من القدماء والمحدثين, ثم خلص هذا الفصل إلى مناقشة التناص الذي يمكن ملاحظته بين القراءات واللهجات, مما يمكن إرجاعه إلى تناص صوتي, وتناص صرفي, وتناص اشتقاقي, وتناص نحوي, وتناص دلالي وأسلوبي, وتم تعزيز ذلك كله بأمثلة من القراءات القرآنية واللهجات العربية المختلفة, إضافة لحشد كبير من الشواهد الشعرية المختلفة.

وقد أوجز الباحث في الخاتمة نتائج البحث, وسجل استنتاجاته, وما توصل إليه من أحكام يرى أنها الأقرب إلى صواب المعنى, وإلى طبيعة العلاقة بين القراءات القرآنية واللهجات العربية.

والله أسأل أن يلهمنا الصواب, وأن يجنبنا الزلل, وأن يجعل عملنا هذا, وكل أعمالنا مخلصة في سبيله, وأن يغفر لنا إن زللنا, أو نسينا, أو أخطأنا, وما أكثر ما نزلّ, وننسى, ونخطئ ... (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا, ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا, ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

كان الموضوع بأكمله فكرة ملحة منذ كنت في الأسر, فقد أثارني, وأنا أقرأ في تفسير القرطبي, ما ألحظ من استشهاد واسع بالنصوص الشعرية خلال تفسيره للنصوص القرآنية, وكان أول ما خطر ببالي آنذاك هو محاولة تفسير هذه الظاهرة عبر بحث أقدمه لنيل درجة الماجستير, علما بأنني لم أكن في ذلك الوقت قد أنهيت الفصل الأول من دراسة البكالوريوس!

خرجت ــ بفضل الله ــ من السجن, وظلت الفكرة تلازمني حتى أنهيت دراستي الجامعية الأولى, والتحقت بالدراسات العليا, وتقدمت بهذا الموضوع ليكون مجال بحثي ودراستي لنيل الدرجة الجامعية الثانية.

وها أنذا, وبعد أن أشبعت البحث دراسة وتحليلا, قد حاولت جهدي أن أُلُمّ شتات الموضوع, وطرقت أبواب المكتبات, وقلبت أمّات الكتب علّني أجد ما يعينني, وكان الله هو الموفق والهادي سواء السبيل, صحيح أنني لم أجد دراسة واحدة على تماس مباشر مع الموضوع, بما في ذلك رسالة الماجستير للطالب إسماعيل عمرو التي ناقش من خلالها دور الشعر في شرح المفردة القرآنية, فقد اطلعت عليها ولم أجد تشابهًا بينها وبين هذا البحث, إلا أنني أفدت من كتاب لمحمد الجطلاوي حول الشعر الجاهلي وأثره في تفسير معاني القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثالث الهجري, ومن كتاب لعبد الجليل عبد الرحيم حول لغة القرآن الكريم, كما أسعفني كثيرا كتاب يبحث في اللهجات العربية في القراءات القرآنية لعبده الراجحي, إذ كان لهذه الدراسات أثر بالغ في إثراء البحث وتوسيع آفاقه. وقد تناول البحث في التمهيد

مفهومي النص والتناص دلالة وتأصيلا, مُعرّفًا بكل من النص اللغوي, والنص الشعري, والنص النثري, والنص القرآني.

أما الفصل الأول فقد بحث في دلالات النص, لاسيما دلالات الألفاظ ودلالات المفهـوم. وكان الاعتماد في هذا الفصل على جهود الأصوليين واللغويين على حد سواء.

وتناول البحث في فصله الثاني لغة الشعر ولغة القرآن الكريم, عبر البحث فـي لغـات (لهجات) العرب, واللغة المشتركة, ولغة الشعر, إضافة إلى القراءات القرآنية, ومسألة الأحـرف السبعة.

أما الفصل الثالث, الأخير, فخُصص للبحث في جدلية العلاقة بين النص والتنـاص فـي القرآن الكريم وفي الشعر من خلال البحث في القراءات القرآنية واللهجات العربيـة فـي ظـل الشاهد الشعري, قراءة في بعدي التناص والدلالة.

وقد تطلب الأمر مرات عديدة السفر خارج الوطن بهدف الحصول على أكبر قدر مـن الدراسات والكتب, إلا أن المنع من السفر ظل طوال الوقت حائلا دون تحقيق ذلـك, فاسـتعنت بجهود عدد من الأخوة الذين أحضروا لي بعض الدراسات, حتى استطعت أن أقدم هذا البحـث بهيئته ومضمونه, وأن أخلص إلى جملة من النتائج خاتمة للبحث وخلاصة له, آملا أن ينتفع بها الدارسون وأهل القرآن والعربية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تمهيد:

مفهوم النص:

الحديث عن مفهوم النص والتناص حديث لا بد منه, ونحن نبحث في أثر دلالة النص الشعري في تفسير النص القرآني, لاسيما أن مفهومي النص والتناص قد تَشَعّبا كثيرا, واتّخَذا دلالات متعددة, ولو حاولنا تعريف النص أو التناص فإننا سنواجه بصعوبة مردها تعدد معايير هذا التعريف ومداخله ومنطلقاته, وتعدد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوافر في ما نطلق عليه اسم نص أو تناص, كما سنجد اختلافا في مدلول هذين المفهومين من سياق إلى آخر, ومن لغة إلى أخرى. " ففي التراث الإسلامي تعد الأحاديث التي تصف عملا قام به الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم – أو عملا أقره نصا, بينما في لغة أخرى لا يعد نصا.

وفي التراث التاريخي العربي عُدَّتْ توقيعات الخلفاء المسلمين, وبياناتهم نصوصا, أما في مجال الأدب فقد استعمل العرب ألفاظا بديلة لكلمة نص, مثل: كلمة, قطعة, مقطعة, وقصيدة, وما شابه ذلك, ولم يستخدموا كلمة نص."[1] وفي العصر الحديث أطلقت كلمة النص على أعمال عدة, كالنثر, والشعر, والرسائل, والمذكرات, والأحاديث, والخطب... الخ؛ ولهذا فلقد وقف المحدثون من تعريف النص موقفا أكثر حذرا, جعلهم يتساءلون ما هو النص, وما هي الضوابط الصحيحة في تحديده.

وحتى نحاول الاقتراب أكثر من هذين المفهومين, سنبدأ الحديث أولا عن مفهوم النص, ولعل السؤال الذي لا بد منه أولا هو: ما النص, وما الذي تعنيه هذه الكلمة؟ لنبدأ بما أوردته بعض المعاجم اللغوية العربية والأدبية.

تتعدد المعاني المعجمية للمشتقات من الأصل [ن, ص, ص] في المعجم العربي, فمنها في لسان العرب" ما دلّ على الرفع بنوعيه الحسي والمادي, فـ النصُّ: رفعك الشيء, نصّ الحديث ينصه نصًا: رفعه, ونصّ المتاع نصّاً: جعل بعضه على بعض, والنصّ والنصيص:

---

[1] خليل, إبراهيم, **النص الأدبي تحليله وبناؤه**, مدخل إجرائي, ص 11.

السير الشديد, ونصّ الرجل نصّاً إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده. ونَصُّ كــل شــيء منتهاه. قال الأزهري: النصُّ أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها. ونصُّ القرآن ونصُّ السنة أي ما دل ظاهر لفظها عليه من الأحكام"[1]. أما في معجم المصطلحات العربية في اللغــة والأدب[2] فإن لكلمة النص معاني عدة هي:

أ ــ الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي.

ب ــ اقتباس أجزاء من الكتب المقدسة والتعليق عليها في الوعظ.

جـ ــ الاقتباس الذي يعتبر نقطة انطلاق البحث أو خطته.

ولم يكن المعجم المفصل في الأدب بعيدا في تعريفه للنص عما تقدم, إذ هو فيه:

1. الكلام المطبوع أو المخطوط الذي يتألف منه العمل الأدبي, فيقولون: نصُّ المســرحية, نصُّ الرواية, نصُّ القصيدة.

2. والكلام المقتبس من كتاب ويوضع بين هلالين, لمناقشته أو الاستشهاد به[3]. وإذا انتقلنا لنبحث عن دلالة (النصّ) في المصادر الأخرى, فثمة توسع بيّنٌ في حدود هذا المفهــوم, وافق دلالته, فالدبوسي في التقديم يقول فيه: هو الزائد على الظاهر إذا قوبل به[4].

وعرفه البزدوي بأنه "ما ازداد وضوحا على الظاهر بمعنى من المــتكلم لا فــي نفــس الصيغة"[5].

أما السرخسي فقد عرف النص: "بأنه ما يزداد وضوحا بقرينة تقترن باللفظ من المتكلم, ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرا بدون تلك القرينة"[6].

---

(1) **اللسان**, (ن ص ص).
(2) وهبة, مجدي، المهندس, وكامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**, ص226.
(3) التنوخي, محمد, **المعجم المفصل في الأدب**, ج2, ص680.
(4) صالح, محمد أديب, **تفسير النصوص**, ج1, ص 148.
(5) المصدر السابق, ص148.
(6) المصدر السابق, ص148.

ويرى محمد أديب صالح بعد استعراض الآراء الثلاثة, أن عماد التعريف في النص هو إثبات أن هناك زيادة في الظهور والوضوح, وأن هذه الزيادة لم تكن من الصيغة نفسها, وإنما جاءت من المتكلم نفسه, حيث يتم ذلك بالقرينة من سياق أو سياق... الخ"[1] ثم يخلص إلى تعريف النص بأنه اللفظ الذي يدل على الحكم, الذي سيق لأجله الكلام دلالة واضحة, تحتمل التخصيص والتأويل احتمالا أضعف من احتمال الظاهر... "[2].

وفي تناوله لمفهوم النص, يرى الأزهر الزناد أن النص "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض, هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلٍّ واحدٍ هو ما نطلق عليه مصطلح النصّ"[3]غير أن النصّ ليس نسيجا من الكلمات المترابطة وحسب, بل هو أيضا" عالم يضم أصواتا متعددة قد لا نسمعها, لكن ذلك لا يعني اندثارها أو موتها"[4] ودور القارئ الناقد يتمثل في إبراز النص للوجود.

وقد استعمل مؤلفو الكتب الأدبية, والتاريخية, كلمة النّصّ للدلالة عل ما اقتبس من كلام الآخرين, أو كتاباتهم لتضمينه كلام المؤلف, فإذا قال أحدهم: "قرأت في كتاب فلان ما نصه "فإنه يعني الكلام الذي تم اقتباسه وأخذه من المصدر"[5].

ويَرِد "النصّ" في أقوال الفقهاء بمعنى: الدليل الشرعي, فقد قيل: لا اجتهاد في موضع النص. وهم يعنون بذلك: القول الذي يسوغ الاعتماد عليه دليلا لاستخراج الحكم الشرعي[6].

وحين يأخذ تعريف النص بعده الأدبي فثمة إشارات جديدة تضاف لمفهوم النص, "فالنص الأدبي هو الذي يتميز على غيره من النصوص بمراعاة الطاقة اللغوية, بحيث تمّحي وظائف

[1] المصدر السابق, ص148.
[2] صالح, محمد أديب, **تفسير النصوص**, ج1, ص148.
[3] الأزهر، الزناد، **نسيج النص**، ص12.
[4] إسماعيل, يوسف حسن، **أصوات النص الشعري**، ص4.
[5] خليل، إبراهيم، **النص الأدبي تحليله وبناؤه**، ص10.
[6] المصدر السابق، ص10.

اللغة كلها تاركة المجال أمام وظيفة واحدة هي الوظيفة الأدبية التعبيرية النابعة من العلاقات الدقيقة التي يشيعها المبدع في ثنايا النص... أي أن النص الأدبي, نص تهيمن عليه القيم الجمالية والأدبية للغة ممثلة في وظائفها الشعرية"[1].

ومن هنا فإن النصّ الأدبي نسيج من الألفاظ والعبارات في بنية منظمة ومتناسقة, تعالج موضوعا أو موضوعات عدة بأسلوب وأداء يتميز على أنماط الكلام اليومي, والكتابة غير الأدبية, معتمدة على الخيال, والإيقاع, والتطوير, والرمز.

ويرى محمد ألتوينجي أن النص الأدبي هو:" كتابة شخصية تتحدث عن أمور جَرَت مع الكاتب أو الشاعر, وكثيرا ما يكون صادقا في تصوير ما اعتراه, وقد يكون كاذبا. وهو يستعين بالصور وإبراز العاطفة. ويميز ألتوينجي النص الأدبي عن النص العلمي, في أن الأدبي تجربة شخصية انفعالية فيها كثير من التشبيه والاستعارة, يقدمها بأسلوب منمّق فيه موسيقى وعناية, أو وزن وقافية, وهو يعتمد على عناصر أربعة: عنصر العاطفة, وعنصر الخيال, وعنصر الفكرة, وعنصر الصورة... وهو يتكون من عنصرين رئيسيين هما: الشكل والمضمون, والشكل وسيلة لأداء المضمون... وكل واحد من الشكل والمضمون يتمم الآخر, فلا شكل بلا مضمون, ولا مضمون بلا شكل"[2].

والنص العلمي عنده عكس ذلك تماما, فلا وصف لشخص معين, ولا لمشاعر ذاتية, ولا يوجد فيه انفعال, أو إشفاق, وهدفه إطلاعنا على حقيقة علمية من غير تشبيه أو استعارة, أو ما شابه ذلك من مستلزمات النص الأدبي. إن النص يعتبر أعلى مستوى للتحليل الداخلي للقصيدة, إنه محصلة المستويات المكونة للقصيدة. النص هو القصيدة نفسها. إن أية قصيدة هي تجلٍّ لنموذج أو نظام لنصوص تمثل الثقافة كلها "[3].

---

(1) المصدر السابق، ص12.

(2) **المعجم المفصل في الأدب**، ج2، ص860.

(3) المناصرة, عز الدين، **جمرة النص الشعري**، ص206.

وإذا كان النص في العرف العام هو السطح الظاهري للنتاج الأدبي, فإنه عند جوليا كريستيفا " جهاز نقل لساني, يعيد توزيع نظام اللغة واضعا الحديث التواصلي, نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع منظومات مختلفة سابقة و متزامنة"[1] بينما يرى بول ريكو أن النص هو: "خطاب تم تثبيته بوساطة الكتابة"[2].

لقد توسع الباحثون الأجانب في دراسة النصّ, وتشعبت آراؤهم, وتوسع مفهوم النص لديهم, ولقد وصلنا كثير من دراساتهم بلغة أجنبية كانت أم مترجمة إلى العربية, فيما انتشرت رؤاهم النقدية عبر كتابات عدد من الباحثين العرب لاسيما المغاربة منهم. وهكذا أخذ النص يحتل حيزا مهما في الدراسات النقدية الحديثة, وأخذوا يميزون بين نص وآخر في المفهوم والدلالة, ناهيك عن الأقسام والفروع الوفيرة التي أخذ يتفرع إليها هذا المفهوم.

فهناك النص المفتوح وهو: "النص الذي يسعى مؤلفه إلى تمثيل دور القارئ أثناء عملية بناء النص, وبالتالي فهو نص يبيح التأويل والتفسير ضمن حدود نصية معينة ومفروضة, والتأويلات التي يتعرض إليها هذا النوع من النصوص مجرد أصداء لبعضها بعضا"[3] وبهذا لا يستطيع القارئ أن يتحكم في النص المفتوح كما يشاء, بل يخضع للنص كما يشاء النص له أن يستخدمه, لأن هذا النص, مهما كان مفتوحا, فإنه لا يقبل أي تأويل, ويقيد القارئ بدور محدد لا يستطيع تجاوزه. ومن هنا يتضح مفهوم النص المغلق إذ هو: "النص الذي ينفتح على كل احتمالات التفسير, أي أنه النص الذي ـ كما يقول إيكو ـ: يقبل كل تأويل محتمل"[4].

وهناك النص المقروء وهو: "نص يتسم بسمات النص الحداثي (التي لا تختلف عند بارت عن سمات النص الكلاسيكي), كُتِبَ بقصد توصيل رسالة محددة ودقيقة ونقلها, كما أنه يفترض وجود قارئ سلبي تقتصر مهمته على استقبال وإدراك الرسالة"[5].

---

(1) المناصرة, عز الدين، **جمرة النص الشعري**، ص315.
(2) المصدر السابق، ص315.
(3) الرويلي, ميجا, والبازعي, سعد, **دليل الناقد الأدبي**, ص181.
(4) المصدر السابق، ص181.
(5) المصدر السابق، ص182.

أما النص المكتوب فهو: "نص مفتوح ما بعد حداثي, يختلف جوهريا عن النص الكلاسيكي, فقد كُتِبَ حتى يستطيع القارئ في كل قراءة أن يكتبه وينتجه, وهو يقتضي تأويلا مستمرا ومتغيرا عند كل قراءة"[1].

وواضح مما سبق أن دور القارئ يختلف في المفهومين, فبينما يكون دوره سلبيا في النص المقروء, فإنه يكون في النص المكتوب إيجابيا نشطا ومنتجا بآن, ومشاركا في إنتاج النص أيضا.

ومن أنواع النصوص المستجدة النص الموازي وهو: "بمثابة عتبة تحيط بالنص, عبرها نقتحم أغوار النص, وفضاءه الرمزي والدلالي, أي أن النص الموازي هو دراسة للعتبات المحيطة بالنص, ويُقصد بهذه العتبات "المداخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيوط الأولية والأساسية للعمل المعروض"[2].

وهناك النص المحيط والنص الفوقي, أما النص المحيط فهو: " يتضمن فضاء النص من عنوان ومقدمة وعناوين فرعية داخلية للفصول, إضافة إلى الملحوظات التي يمكن للكاتب أن يشير إليها وكل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب, كالصورة المصاحبة للغلاف أو كلمة الناشر على ظهر الغلاف أو مقطع من المحكي"[3]. أما النص الفوقي فتندرج تحته كل الخطابات الموجودة خارج الكتاب متعلقة به, وتدور في فلكه مثل الاستجوابات والمراسلات الخاصة, والشهادات, وكذلك التعليقات والقراءات التي تصب في هذا المجال[4]. لقد كان جيرار جنيت ـ الذي يعد من الشعراء الكبار ـ قد أولى عناية كبيرة للعنوان باعتباره نصا موازيا يندرج ضمن النص المحيط, والنص الموازي عنده هو: "ما يصنع به النص من نفسه كتابا ويقترح ذاته بهذه الصفة على قُرّائه, وعموما على الجمهور, أي ما يحيط بالكتاب من سياج أوّلي, وعتبات بصرية ولغوية "[5].

---

(1) الرويلي, ميجا, والبازعي, سعد, **دليل الناقد الأدبي**, ص182.
(2) حمداوي، جميل، **السيميوطيقا والعنونة**، ص102.
(3) المصدر السابق، ص102.
(4) حمداوي، جميل، **السيميوطيقا والعنونة**، ص102.
(5) المصدر السابق، ص103.

يضاف إلى ما تقدم النص المتشعب Hypertext, والنص الرافل Hypermedia ويعرف حسام الخطيب النص المتشعب بأنه: "تسمية مجازية لطريقة في تقديم المعلومات يترابط فيها النص والصور والأصوات و الأفعال معا في شبكة من الترابطات مركبة وغير تعاقبية, مما يسمح لمستعمل النص [القارئ سابقا] أن يجول في الموضوعات ذات العلاقة دون التَّقيّد بالترتيب الذي بُنِيَتْ عليه هذه الموضوعات, وهذه الوصلات تكون غالبا من تأسيس وثيقة مؤلف النص المشعب أو من تأسيس المستعمل, حسبما يمليه مقصد الوثيقة[(1)].

أما النص الرافل فهو مصطلح لاحق للنص المشعب ويشكل تطورا وإغناء له, وقد دخل مجددا في عالم الحاسوبية, وكذلك في عالم الإعلام والتربية, وهو في علم الحاسوب "دمج الرسوم و الأصوات والفيديو, أو أي تشكيل آخر, في منظومة ترابطية بشكل رئيس لخزن المعلومات واستدعائها"[(2)].

في دراسته "مدخل إلى قراءة النص الشعري, المفاهيم معالم", يقدم محمد مفتاح رؤيته لمفهوم النص[(3)] حيث يتفرع هذا المفهوم إلى ما يلي:

1. النص الواضح: ويقصد به مالا يقبل التأويل من الكلام بإطلاق مثل الأوامر والنواهي. بل إن النص الشعري يستحيل أحيانا إلى نص واضح الدلالة لا يحتاج إلى تأويل.
2. النص البيّن: وهذا النص اقل وضوحا من سابقه, حيث يدل فيه مؤشر العنوان والمعجم وقرائن أخرى على معناه.

النص الظاهر: قد يتردد المؤول في اختيار معنى من هذه المعاني المتعددة, – ولكنه باعتماده على مقتضيات السياق وعلائق المساق – يميل بالمعنى إلى جهة البيان, لأن هذه الجهة اظهر من غيرها.

---

(1) **الشعر العربي في نهاية القرن**، الحلقة النقدية في مهرجان جرش الخامس عشر, ص69.
(2) المصدر السابق، ص70.
(3) **مجلة فصول**، المجلد السادس عشر، العدد الأول، ص252.

3. النص المحتمل: هو النص الذي يعتم فيه على بعض الدلالات, خصوصا الدلالة الجنسية, ويبرز دلالات أخرى تغطي على الدلالة التي تم تعتيمها, حيث لا يتوصل إليها إلا بعد التأويل والغوص في أعماق اللغة.

4. النص الممكن: هو النص الذي لا يظهر فيه سوى مؤشر واحد قد يوجه نحو دلالة ما في قراءة, وقد يوجه نحو دلالة أخرى في قراءة ثانية.

5. النص العمي: وهو يقابل حالة النص الواضح, وهذا النص يقدم مؤشرات عديدة تتداخل فيما بينها وتتشابك حتى تصير عبارة عن متاهة متعددة المسالك فلا يدري الذي يريد أن يخرج منها أية طريق يسلك.

وهكذا يتضح أن النظرة لمفهوم النص أخذت تزداد تشعبا, وما سلف من آراء يؤكد على مدى الاهتمام الذي أخذ يحظى به مفهوم النص في الدراسات النقدية الحديثة, والبحث في مكوناته وشبكة علاقاته, وهناك من أخذ ينظر إلى النص باعتباره "ثمرة ناضجة مكتملة تخلقها رؤية متصلة تعاين الوجود من خلال منظور معقد يصوغه إدراك علاقات التشابه والتضاد بين أشياء الوجود على المستوى المعنوي واللغوي"[(1)]. مما يدعو الناقد أو القارئ إلى أن يقيم حوارا عميقا بين مكونات النص وعلاقتها مع غيرها من النصوص. وحتى لا نطرق باب التناص قبل أوانه, نرى أنه يجدر بنا أن نوضح مفهوم بعض النصوص, ـــ والتي لا شك ـــ أنها تخدم البحث الذي نحن بصدده.

بعد هذه الجولة في مفهوم النص, فقد أصبح من الممكن وضع تصور لمفهوم كل من النص اللغوي, والنص القرآني, والنص الشعري, والنص النثري.

لنبدأ أولا بالنص اللغوي, فما هي حدود هذا المفهوم؟

النص اللغوي: هو كل نص ينتمي إلى اللغة, وحين يكون الكلام نصا, فهو نص لغوي, والنص اللغوي عبارة عن صياغة ضمن تركيب. أما النص الأدبي فهو عبارة عن اتجاه دلالي,

---

(1) عيسى، فوزي، **النص الشعري وآليات القراءة**، ص10.

وهو نص جزئي مقابل النص اللغوي الذي هو نص كلي, بمعنى أن النص اللغوي مقابل النص الأدبي هو نص شكلي, كما أن النص اللغوي مقابل النص النثري أو الشعري أو القرآني هو نص كلي, وأن جميع هذه النصوص هي أجزاء منه.

إن البحث عن شكل هذا النص اللغوي يحدد بكونه نثرا أو شعرا أو قرآنا, كما أن الحديث عن النص اللغوي ضمن محورين هما:

المحور الكلي (أو الجزئي) ومحور الدلالة والشكل والجنس, فالمحور الكلي: صياغة ضمن تركيب. ومحور الدلالة والشكل والجنس: عبارة عن المقابل الأدبي للنص اللغوي, وحينئذٍ يكون عبارة عن اتجاه دلالي.

النص القرآني: هو نص جزئي ينتمي إلى النص الكلي (النص اللغوي), وبالتالي فهو نص لغوي. وهذا النص هو لفظ عربي معجز أنزل وحيا على سيدنا محمد – صلوات الله وسلامه عليه وآله – المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته. وهو "نظام, ملتئم, محكم, متقن"[1] بما يشمله من لفظ, وسياق, ومبادئ الآيات, والمقاطع, ومجاري الألفاظ, ومواقع الكلم, ومساق كل خبر, وكل مثل... إن دراسة النص القرآني من حيث كونه نصا لغويا, أي من حيث بناؤه وتركيبه ودلالته وعلاقته بالنصوص الأخرى في ثقافة معينة, دراسة لا انتماء لها إلا لمجال "الدراسات الأدبية" في الوعي المعاصر, وقد يكون النص موضوعا للدراسة في علوم أخرى, كأن يتحول النص إلى (موضوع) للدرس اللغوي بكل فروعه, بدءا من الصوتيات وانتهاء بالدلالة والمعجم.

أن النص القرآني نص خاص, وخصوصيته نابعة من قداسته وألوهية مصدره, لكنه برغم ذلك يظل نصا لغويا ينتمي لثقافة خاصة[2].

---

(1) خليل، إبراهيم، **الأسلوبية ونظرية النص**، ص39.

(2) أبو زيد، نصر حامد، **مفهوم النص ــ دراسة في علوم القرآن**، ص19.

النص الشعري:

والنص الشعري نص جزئي أيضا ينتمي للنص الكلي [النص اللغوي], ولذلك فهو نـــص لغوي, لكنه "نص تهيمن عليه القيم الجمالية والأدبية للغة ممثلة في وظائفها الشعرية"[1] وبالتالي فهو عبارة عن اتجاه دلالي للغة, والنص الشعري جزء من النص الأدبي الذي يتميز عن غيـــره من النصوص بمراعاة الطاقة اللغوية, حيث تبدو اللغة في الشعر تركيبية. "والشعر هـــو الكـــلام البليغ المبني على الاستعارة و الأوصاف, المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي"[2], لكن هذا التحديد للشعر لم يحافظ على أصالته لاسيّما أن ألوانا وأنماطا جديدة مـــن الشعر لم تعد تراعـــي الاتفاق في الروي.

يقدم عز الدين المناصرة تعريفا للنص الشعري بأنه "كتلة لغوية سوداء فـــي البيـــاض, تكتمل في القراءة, وهذه الكتلة اللغوية مشبعة بالخارج محولا بعد امتصاصه في درجات مختلفة من الحساسية, بوساطة نظام لساني مفتوح, وهو خاضع في خلقته لمبدع خاص, كذلك هو خاضع للقراءة التي تضيف أو تحذف, ولكن القراءة مهمـــا تنوعـــت لا تتطـــابق مـــع الـــنص أبـــدا, فالأيديولوجيات تندلق في النص ويمتصها الشاعر القوي بعد أن يحولها إلى شيء آخر لغوي"[3].

النص النثري:

هو جزء من النص اللغوي, ويكون انتماؤه للنص اللغوي بمثابة انتماء بنيوي أو تكويني. وليس كل نص نثري هو نص أدبي, فقد يكون نصا أدبيا, وقد يكون غير ذلـــك, وحـــين يكـــون النص النثري نصا أدبيا فإنه يعبر بذلك عن اتجاه دلالي للنص اللغوي, وهو يحتاج إلـــى تعمـــل فني خاص, أما حين يكون النثر خاليا من التعمل الفني فحينئذ يطلق عليه "النثر المطلق" وهـــو: "ما كان يرسل على السجية دون تعمل فني خاص"[4]. وإذا كانت اللغة في الشعر النـــاتج تبـــدو تركيبية فإنها في النثر تحليلية, "ذلك أن التركيب عملية يقتضيها العمل الشعري, فـــي حـــين أن التحليل تقتضيه الكتابة النثرية"[5] لأن الشعر انفعال والنثر تفكير.

---

(1) خليل، إبراهيم، **النص الأدبي تحليله وبناؤه**، 12.
(2) المناصرة, عز الدين، **جمرة النص الشعري**، 83 ـــ84.
(3) المناصرة, عز الدين، **جمرة النص الشعري**، 316.
(4) المقدسي، أنيس، **تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي**، 20.
(5) إسماعيل، عز الدين، **الأدب وفنونه ــ دراسة ونقد**، 82.

مفهوم التناص:

ظهر مصطلح التناص في مفهومه الحديث بعد النصف الثاني من القرن العشرين على يد جوليا كريستيفا " التي أدخلت عام 1969 مصطلح التناص في الخطاب النقدي مستندة إلى المنجزات المبدئية التي حققتها الكتابة الحاسوبية في ذلك الحين بانتقالها من النظام السطري المرسم إلى الفضاء المفتوح الذي لا يتقيد بتسلسل خَطّيّ أو تعاقبيّ"[1].

وعرفته بأنه "تفاعل نصي حديث داخل نص واحد"[2] وأنه "أحد مميزات النص الأساسي, التي تحيل على نصوص سابقة عليها أو معاصرة لها"[3] وإذا كانت جوليا كريستيفا أول من أدخل مصطلح التناص, فثمة نقاد وباحثون خاضوا غمار البحث في هذا المصطلح فاتسعت بذلك دلالاته وتشعبت فضاءاته.

هل هناك نص أدبي يمكن اعتباره نصا مبتكرا خالصا, أم أن صاحب النص لا بد له أثناء بناء النص أن يُدْخِلَ شذرات من نصوص أخرى إلى نصه, أو أن يتشرب نصه روائح نصوص أخرى, تعبق فيه, وتعصف من خلاله, في تواشح يؤكد جدلية العلاقة بين كثير من النصوص, إلى حد دفع بارت إلى القول "إن النصوص نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء"[4] فالشاعر ــ على سبيل المثال ــ حين يستدرج إلى قصيدته نصا آخر فلا بد من تذويب ذلك النص أو دمجه ضمن سياق جديد ليتحول ذلك النص الغائب إلى حركة داخل النص الجديد, فتقترض منه, وتضيف إلى جسده أيضا, قوة خفيفة, وإلى روحه توترا جديدا. فالتناص إذًا هو "تداخل النص ــ موضع الدراسة ــ مع نصوص أخرى قديمة أو معاصرة, بطريقة يتبين فيها قصد المبدع في الإفادة من النص السابق. وهو مختلف اختلافا كبيرا عن السرقة, وهي الاعتداء على نصوص الآخرين"[5]. بمعنى آخر, هو: "التفاعل الذي يحدث بين نص وآخر".

---

[1] **الشعر العربي في نهاية القرن**، 83. حلقة نقدية في مهرجان جرش الخامس.
[2] المختار حسني، **نظرية التناص**، علامات، 24، ج34.
[3] مشتاق, عباس معن، **شعرية التناص**، قراءة في شعرية كرستيفا السلبية، علامات 431، ج37.
[4] العلاق، علي جعفر، **الشعر والتلقي ــ دراسات نقدية**، ص131
[5] **النص الأدبي، تحليله وبناؤه**، 228.

يقول بارت: تتبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نـــص معتبـــر كمركز, وفي النهاية تتحد معه, والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة, فكل نـــص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة"[1].

لقد ارتبط مفهوم التناص في النقد الغربي بمفاهيم أخرى سابقة عليه وممهدة لظهـــوره, وأهمها مفهوم الحوارية, فـــ "باختين" لم يستخدم مصطلح التناص, بل مصطلح الحوارية للدلالـــة على تقاطع النصوص والملفوظات في النص الروائي الواحد"[2] وهكذا كانت أفكاره حاسمة فـــي مفهوم التناص دون أن يكون هو الذي وضع المصطلح ذاته. لكن كتاباته ظلت الأســـاس الـــذي يعتمد عليه في توضيح هذا المصطلح.

ومن الباحثين الغربيين الذين تناولوا هذا المصطلح بعـــد بـــاختين وكريســـتيفا, "فليـــب سولرس" ويقوم تصوره لمفهوم التناص على أنه "كل نص يقع في ملتقى مجموعة من النصوص بحيث يكون هو الجامع بينها والمشكِّل لها ومكثـــفها ومحولها وعمقها على السواء[3]".

وقد شاب مفهوم هذا الاصطلاح شيء من الضبابية, ففي مرحلة مـــن مراحـــل تطـــور البحث في مفهوم التناص, فُهم هذا المصطلح على أنه: "مجرد تقـــاطع لعـــدد مـــن النصـــوص والأساليب داخل نص واحد, أو أنه إرجاع النص إلى مصادره الثقافية أو المعاصـــرة"[4]. لكـــن "ريفاتير" ميز بين مصطلحي تقاطع النصوص والتناص, فتقاطع النصـــوص يســـتدعي دراســـة لتاريخ المؤثرات الأدبية أو البحث عن المنابع, ولهذا النوع من البحث هدف تفسيري, لأنه يجيب عن سؤال محدد هو: كيف تكونت النصوص الأدبية؟ غير أن التناص "لا يتوجه نحو اكتشـــاف الأصول التاريخية لتلك النصوص السابقة, بل يتجه للحديث عن أدوارها في النص"[5] لذلك فـــإن لمفهوم التأثر والتأثير أهمية واضحة في دراسة التناص في أي نص, سواء كان من باب التذكر والاستفادة, أو الاستعمال الصريح أو المقنع, الساخر أو الإيحائي للأصول واستعمال الشواهد.

---

(1) **الأسلوبية ونظرية النص**، ص148.
(2) المناصرة، عز الدين، **جمرة النص الشعري**، ص323.
(3) الحمداني، حميد، **التناص وإنتاجية المعاني**، ص67، علامات ج 40، مج10.
(4) المصدر السابق، ص69.
(5) المصدر السابق، ص71.

وقد تناول "جيرار جنيت" مفهوم التناص "لكنه أدرجه في تصنيف منهجي جديد للعلاقات النصية المفارقة, وقد أجملها في خمسة أحوال: الاستشهاد, والسرقة, وعلاقة النص بـــ "عتبـة النص"..., والعلاقة القائمة بين النص والنص السابق عليه, والعلاقة بين الأجناس الأدبية التـي يفصح عنها النص"[1] وقد حدد جنيت خمسة أنماط من التعاليات النصية على النحو التالي[2]:

1. التناص: ويقصد به تلاقح النصوص عبر المجاورة والاستلهام والاستنساخ بطريقة واعية أو غير مقصودة كما هو الشأن لدى كريستيفا وباختين.
2. المناص: وهو عبارة عن عناوين, وعناوين فرعية ومقدمات وذيول وكلمات الناشر.
3. الميتا نص: وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره أحيانا.
4. النص اللاحق: عبارة عن علاقات تحوي ومحاكاة تتحكم بالنص (ب) كلاحق بالنص (أ) كنص سابق.
5. معمارية النص: تتحد في الأنواع الفنية والأجناس الأدبية: شعر, رواية, بحث... الخ.

إن للنص أشكالا مختلفة, فمنه ما يكون مباشرا, ومنه ما لا يكون كذلك, ومنه ما يعتمد على تغيير دلالة النص الأصلي ومنه ما يعتمد على صياغة النص الجديد صياغة شكلية قريبة من النص القديم, ومنه ما يستمد أسسه من أطلال نص سابق, "وهذا يعني أن النصوص الأدبية المعاصرة تبنى دائما على أنقاض النصوص القديمة"[3].

يتطرق الباحث العربي محمد مفتاح إلى مجالات التناص مبينا أن هناك تناصا ضروريا, وهو القائم في كل ثقافة, وآخر اختياري, وهو ما يطلبه الشاعر نفسه, كما أنه يقترح التمييز بين تناص داخلي, وهو ما يصيب علاقة الشاعر بنتاجه السابق, وآخر خارجي, وهو ما

---

(1) شربل داغر، **مجلة فصول التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره**، ص128.
(2) حمداوي، جميل، **السيموطيقيا والعنونة**، عالم الفكر 103 ــ 104.
(3) محمداني، حميد، **التناص وإنتاجية المعنى**، ص100.

يصيب النص في علاقته بخريطة الثقافة التي ينتمي إليها. أو يميز بين تناص اعتباطي, وهو الذي يعتمد على ذاكرة المتلقي, وبين تناص واجب, أي الذي يوجبه المتلقي نحو خطاته"[1].

مفهوم التناص عند القدماء:

لم يذكر القدماء مصطلح التناص في كتاباتهم وآرائهم النقدية, لكن هذا الغياب لمصطلح التناص لا يعني غياب جوانب عدة من دلالته في النقد العربي القديم, بل إن المتتبع لآراء النقاد القدماء يجد معنى هذا المصطلح مبثوثا بين ثنايا آرائهم, لاسيما عندما يتحدثون عن جملة من المفاهيم تتقاطع بشكل أو بآخر مع مفهوم التناص عند المحدثين.

لقد اهتم نقاد العرب القدماء بأصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها, ومقدار ما تنطوي عليه من الجدة والابتكار, أو مبلغ ما يدين به أصحابها لسابقيهم من الأدباء من التقليد والاتِّباع, ولهذا نجدهم يلجؤون في أكثر نقدهم إلى الموازنة بين أديب وأديب لإبراز نواحي الاتفاق بينهما ثم ما ينفرد به أحدهما عن الآخر, ولعل ما قام به الآمدي في الموازنة بين أبي تمام والبحتري خير شاهد على ذلك.

إن الموازنة عند القدماء كانت تقتضي اتفاق الشاعرين في مقصد واحد, إذ يأتي شاعر بالمعنى الذي أتى به غيره, ويزيد عليه بالصناعة اللفظية. مثال ذلك قول أبي تمام:

لهفي على تلك الشواهد فيهما   لو أخرت حتى تكون شمائلا[2] (كامل)

أما أبو الطيب المتنبي فقد قال:

بمولودهم صمت اللسان كغيره   ولكن في أعطافه منطق الفصل[3] (طويل)

وكان بعض النقاد يشترط للموازنة بين شعرين اتفاقهما في المعنى, حتى تمكن الموازنة بين المعاني والأسلوب, ولم يشترط البعض هذا الاتفاق"[4].

---

(1) رباعي, ربى عبد القادر، **التضمين في التراث النقدي والبلاغي**، ص178. (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك.
(2) **شرح ديوان أبي تمام**، شرح إيليا حاوي، ص693.
(3) **الديوان**, ص339.
(4) بدوي، احمد، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص543.

وفي الشعر العربي أمثلة كثيرة على ذلك, فثمة معان توارد عليها الشعراء قديما وحديثا, وقد كسيت بألفاظ مختلفة حينا, وتطابق في اللفظ أحيانا أخرى. قال النابغة:

إذا ما غزا بالجيش حلــق فوقــه   عصائب طير تهتدي بعصائب (طويل)

جــوانح قــد أيقــن أن قبــيلــه   إذا ما التقى الجمعان أول غالب[1]

وقد توارد على هذا المعنى كثير من الشعراء, فها هو ذا " أبو النواس " يقول:

تتـــأيّـــا الطيــر غدوتـــه   ثقــة بالشـــبْع مــن جزره[2] (سريع)

وحول ذات المعنى قال أبو تمام:

وقد ظللت أعناق أعلامه ضحى   بعقبان طير في الدماء نواهــل (طويل)

أقامت مع الــرايات حتى كأنهــا   من الجيــش إلا أنها لم تقاتل[3]

وهكذا نجد الأبيات الشعرية السابقة تدور حول معنى واحد, يؤتى به في قوالب لفظية مختلفة, وهو أن القائد كان بقوته وقوة جيشه يحقق الانتصارات, وقد اعتادت الطيور على مرافقته في غدواته طمعا بالطعام المشبع من القتلى الكثر.

وبهذا كانت دراسة القدماء للتناص بمسميات متغايرة فيها من المدلولات الحديثة شيء كثير, فقد ظهرت قضية السرقات الأدبية ومسألة الانتحال, كما ظهرت أيضا مصطلحات كالاصطراف, والادعاء, والإغارة, والغصب, والمرافدة, والاهتدام, والنظر والملاحظة, والاختلاس, والمواردة, والالتقاط والتلفيق, والتوليد, والتضمين, والنسخ, والاستيحاء, واستعارة

---

(1) **الديوان**، ص10.

(2) **ديوان أبي نــواس**، ص281. وتتأيا: تقصد وتتعمد. والشبع: ضد الجوع وهو الطعام المشبع أيضا. والجزر ما يذبحه الجزار من إبل وكل مباح للذبح.

(3) **شرح ديوان أبي تمام**، ص455.

الهياكل, والتأثر... الخ, لكن موضوع السرقات استأثر باهتمام كثير من النقـاد القـدماء, ممـا يستدعي البدء بالحديث عن السرقات قبل الخوض في توضيح تلك المصطلحات, والتي تخدم ــ بلا شك ــ البحث في مفهوم التناص عند القدماء.

لقد أولى القدماء الأدب العربي عناية فائقة باعتباره تراثا واجب الصون والرعاية, فلـم يخل زمن من نقاد استطاعوا أن يميزوا الأدب, ويردوه إلـى أصـحابه, وأن ينبهـوا جمهـور الدارسين إلى حقيقة ما يقرأون, وصيانة الأعمال الأدبية من العبث, والانتحال, ورد كل نص إلى صاحبه. وفي المقابل نجدهم يصفون من ينسب الأدب لغير قائله بأوصاف كثيرة تحط من شـأن فاعله, وتحطم كيانه بين الأدباء, "فهم يسمون هذا العمل سـرقة, وسـرْقا, وانتهابـا, وإغـارة, وغصبا, ومسخا, على كثير من تلك الأوصاف التي تشين صاحبها. والرفقاء منهم يتلطفون فـي تلك الألفاظ تحرزا من الخطأ, وإحسانا للظن, فيسمونه اقتباسا, وأخذا, وتضـمينا, واستشـهادا, وعقدا, وحلا, وتلميحا, وغير ذلك من الأسماء الرقيقة المهذبة"[1].

والاختلاف بين النقاد في ذلك, أدى إلى الاختلاف في وصفهم بتلك الألفـاظ المتفاوتـة. فالسرقة عند الآمدي لا تكون إلا في المعنى المبتدع المخترع الذي عرف لشاعر بعينه, ثم يـأتي شاعر آخر فيسرق من هذا الجديد البديع, عندئذ فقط يقال إن شاعرا سرق من آخر. وقد ضرب الآمدي[2] مثلا لهذا النوع عندما ذكر أن بيت أبي تمام:

أحلى الرجال من النساء مواقعا　　　من كان أشبههم بهـن خـدودا[3] (كامل)

مأخوذ من بيت الأعشى:

إن الغواني لا يواصلـن امرأ　　　فقد الشباب وقد يصلن الأمردا[4] (كامل)

---

[1] طبانة، بدوي، **السرقات الأدبية**، ص28.

[2] الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**، ص58.

[3] **الديوان**, ص79.

[4] **الديوان**, ص52.

لعل من البدهي القول إنه لا يمكن أن يكون سرقة إلا إذا كان هناك مسروق منه, ولا يمكن الادعاء أن هنالك تقليدا أو اتباعا, إلا إذا كان هناك علم يقيني بالمقلَّد أو الأصل. بمعنى آخر لا بد من وجود نص سابق ونص لاحق تقاطع معه سرقة أو تضمينا أو اقتباسا أو تأثرا, أو من باب "موقع الحافر على الحافر" أو "عقول الرجال تتوافى على ألسنتها", أو تقليدا كما فعل كثير من الشعراء الذين وقفوا على الأطلال, فبكوا وشكوا, وخاطبوا الربع, وتحدثوا عن الظعن, وشكوا شدة الوجد وألم الفراق,... إلى آخر ذلك من التقسيمات التي تمسك بها كثير من الشعراء ولم يشذّ عنها إلا قلة كان أبرزهم أبا نواس الذي استخف بسنة الشعراء هذه, إذ يقول:

عاج الشقي على رسم يسائله	وعجت اسأل عن خمارة البلد(بسيط)
يبكي على طلل الباقين من أسد	لا در درك قل لي من بنو أسد
ومن تميمٌ؟ ومن قيسٌ ؟ ولِفهما	ليس الأعاريب عند الله من أحد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر	ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد
دع ذا عدمتك, واشربها معتقة	صفراء تغرق بين الروح والجسد[1]

ونظرا لهذا التقليد الذي سار عليه كثير من الشعراء, كان لا بد من وجود تشابه في كثير من معانيهم للتشابه الحاصل في فكرة القصيدة عند كثير منهم, ولهذا تلطف بعض النقاد في تناول هذا التشابه والتداخل والتوارد في المعنى المتحدث عنه, بل إن بعضهم تسامح فيما أطلق عليه "سرقة أدبية" من باب أن الكلام لولا أنه يعاد لنفد. وقد سئل أبو عمرو بن العلاء: أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى, ويتواردان في اللفظ, لم يلق واحد منهما صاحبه, ولم يسمع شعره؟ قال: "تلك عقول رجال توافت على ألسنتها"[2]. وسئل أبو الطيب المتنبي عن مثل ذلك, فقال: "الشعر جادة وربما وقع الحافر على موضع الحافر"[3] لكن هذا التسامح لم يكن ديدن النقاد جميعا, فثمة آخرين رأوا في السرقة الأدبية مدعاة للاتهام." فكان موضوع السرقات مجالا خصبا للنيل من الشاعر والحط من قيمته عن حق وعن غير حق"[4]. فها هو ذا العميد يعلق على شعر

---

(1) **ديوان أبي نواس**، ص177 ـــ 178.
(2) **السرقات الأدبية**، ص36.
(3) المصدر السابق، ص36.
(4) العشماوي، محمد زكي، **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث**، 384.

المتنبي – الذي كان مناصروه يرون أن الفحول من الشعراء ختموا به, ولو أنصف شعره لعلق كالسبع المعلقات من الكعبة, ولقدم على جميع شعراء الجاهلية في الرتبة – يعلق على شعره فيقول: "ولقد تأملت أشعاره كلها فوجدت الأبيات التي يفتخر بها أصحابه, وتعتبر بها آدابه من أشعار المقدمين منسوخة, ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة"[1].

ثمة مفاهيم تعارف عليها القدماء تتقاطع بشكل أو بآخر مع مفهوم التناص لدى النقاد المحدثين, حين يكون التناص تداخلا وتفاعلا بين النصوص. ومن هذه المفاهيم[2]:

الاصطراف: كأن يعجب الشاعر ببيت من الشعر, فيصرفه إلى نفسه؛ فإن صرفه إليه على جهة المثل فهو "اختلاب" و "استلحاق".

الانتحال: وهو أن يدعي الشاعر شعر غيره وينسبه إلى نفسه على غير سبيل المثل.

الادعاء: أن يدعي غير الشاعر لنفسه شعر غيره. والفرق بين الادعاء والانتحال أن الانتحال أخذ الشاعر من الشاعر, أما الادعاء فهو سرقة غير الشاعر من الشاعر.

الإغارة: أن يصنع الشاعر بيتا, ويخترع بيتا مليحا, فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا, فيروى له دون قائله.

الغصب: مثل ما صنع الفرزدق بالشمردل اليربوعي, وقد سمعه ينشد في محفل من المحافل:

فما بيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وطاعَةً وبيْنَ تَميمٍ غَيْرَ حَزّ الحَلاقِمِ (طويل)

فقال الفرزدق: والله لتدعنه أو لتدعن عرضك! فقال: خذه لا بارك الله لك فيه!

المرافدة: أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له.

---

[1] سلام، محمد زغلول، **تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري**، ص161.

[2] **السرقات الأدبية**, ص53 وما يليها.

الاهتدام: هو السرقة في ما دون البيت, نحو قول النجاشي:

وكُنْتُ كَذي رِجْلَيْن رجلٍ صَحيحَةٍ ورِجْـلٍ رَمَتْ فيها يدُ الحَدثانِ(طويل)

فأخذ كثير عزة القسم الأول, واهتدم باقي البيت, فجاء بالمعنى في غير اللفظ:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت[1](طويل)

النظر والملاحظة: أن يتساوى المعنيان دون اللفظ, مع خفاء الأخذ.

الاختلاس: هو تحويل المعنى من غرض إلى غرض, مثل قول أبي نواس:

مَـلِكٌ تَصَوّرَ في القُلوبِ مِثالُـهُ **فكَـأنَّهُ لـمْ يخْلُ مِنْـهُ مكانُ**[2] (كامل)

اختلسه من قول كثير:

أُريدُ لأنسـى ذِكْرَها فكَأنّمـا **تُمَثَّلُ لي ليْلى بكِـلِّ سَـبيلِ**[3] (طويل)

الموارِدة: أن يتفق الشاعران دون أن يسمع أحدهما بقول الآخر, بشرط أن يكونا في عصر واحد. مثال ذلك, بيت امرئ القيس:

وُقوفًا بِها صَحْبي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ **يَقولونَ لا تَهْلِكْ أسىً** وتَجَمَّلِ[4](طويل)

وبيت طرفة:

وُقوفًا بها صَحْبي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ **يَقولونَ لا تَهْلِكْ أسىً** وتَجَلَّدِ[5] (طويل)

الالتقاط والتلفيق: أن يؤلف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض, وبعضهم يسميه: الاجتذاب والتركيب[6]. مثل قول يزيد بن الطثرية:

إذا ما رَآني مُقْبِلا غَضَّ طَرْفَـهُ كَأنَّ شُعاعَ الشَّمْسِ دُوني يُقابِلُهْ(طويل)

---

[1] **الديوان**، ص68.
[2] **الديوان**، ص566.
[3] **الديوان**، ص252.
[4] **الديوان**، ص31.
[5] **الديوان**، ص32.
[6] **السرقات الأدبية**، ص53.

فأوله من قول جميل:

إذا ما رَأَوْني طالِعًا مِنْ ثَنِيَّـــةٍ   يَقولونَ مَنْ هذا؟ وقَدْ عَرَفُونـــي[1] (طويل)

ووسطه من قول جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْـــرٍ   فَـــــلا كَـــعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِـــلابا[2] (وافر)

وعجزه من قول عنترة الطائي:

إذا أبْصَرَتْني أعْرَضَتْ عَنّي   **كَـــأَنَّ الشَّمْسَ مَنْ حَوْلي تَدورُ**(وافر)

التوليد: وهو أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه, أو يزيد فيه. مثل قـــول امرئ القيس:

سَمَوْتُ إليْها بَعْدَما نـــامَ أهْلُها   سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالا عَلى حالِ[3](طويل)

فقال عمر بن أبي ربيعة:

فاسْقُطْ عَلَيْنا كَسُـــقوطِ النَّـــدَى   لَـــيْـــلَـــــةَ لا نـــاهٍ ولا زاجِـــرِ[4] (سريع)

لم يتفق القدماء جميعا على فكرة السرقات, بل إن بعضهم رفضها صراحة كمـــا فعـــل الجرجاني معتبرا أن الألفاظ منقولة متداولة بين الناس, "وليس التداول هنا إلا ضربا من التفاعل والتبادل والتأثر"[5] ونرى هذا المعنى يتكرر عند ربى رباعي ممثلا في قولهـــا: "إن مصـــطلح السرقة مصطلح مرفوض, فهو ذو نزعة أخلاقية لا علاقة لها بالتفاعل الطبيعي بين النصـــوص والنصاصين"[6].

وتخلص الباحثة إلى أن مصطلح "السرقة" مستهجن في النقد ــ وهو برأيي ــ لا ينطبق إلا على ما سمي بالانتحال أو الغصب, أو غيرهما من الألفاظ التي تعني ادعاء الشاعر شـــعرا

---

(1) مسعود، ميخائيل، جميل بن معمر **رائد الحب العذري**، ص165.
(2) **شرح ديوان جرير**، ص97.
(3) **الديوان**، ص141. حباب الماء: فقاقيعه التي تعلو الماء, وقيل معظمه. وحالا على حال: شيئا على شيء.
(4) **شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة**, ص495.
(5) رباعي، ربى عبد القادر، **التضمين في التراث النقدي والبلاغي**، ص190.
(6) **المصدر السابق**، ص190.

آخر على أنه شعره, أما أن يضع شاعر ما شِعْرَ غيره ضمن شِعْرِه لتعزيز هدفه, أو لبناء فكرة أو معنى عليه, فذلك أمر أبعد ما يكون عن السرقة, وهو باب من أبواب التضمين"(1).

وإذا كان التضمين هو المصطلح الأقدر على احتواء أكثر أنواع السرقات ما عدا النحل أو الانتحال, فإنه بذلك يصبح أنسب للنقد من السرقة, وأكثر توافقا مع مصطلح التناص الشائع في الدراسات النقدية الحديثة.

فما هو التضمين إذا, وما هي علاقته بمصطلح التناص؟

التضمين: هو ضرب من الفنون المتبعة بين الشعراء والكتاب, إذ يقصد الشاعر أو الكاتب إلى نص من غيره ويدخله في أثناء أبياته أو نثره تضمينا, وقد عده النقاد من محاسن الكلام. ومن التضمين ما يأتي به الشاعر أو الكاتب إحالة, ومنه ما يشير إليه إشارة, ومنه تضمين باللفظ أو بالمعنى.

وتتنوع مصادر التضمين وتتعدد, فهي لا تقتصر على الشعر وحده وإنما يمكن أن يكون التضمين اقتباسا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف, أو أخذا من الحكم والأمثال السائرة, أو من مجموع عناصر الثقافة العربية والإسلامية, وغيرها من الثقافات الأخرى كاليونانية والفارسية وغيرها.

لقد توقف كثير من النقاد عند العلاقة بين التناص والتضمين, ولعل فكرة ابن خلدون في نسيان المحفوظ تشير إلى أن إنتاج نص جديد يتطلب الاعتماد على المقروء المضمن في الذاكرة, وهذا يتفق مع ما ورد عند بارت الذي يمكن أن يكون قد أوصى بنسيان المحفوظ حين عرف التناص بأنه "تضمينات من غير تنصيص"(2) ولعل هذا هو ما أدى بمحمد مفتاح إلى تعريف التناص "بأنه تضمين نص لنص آخر وهو أبسط تعريف له, أو هو تفاعل خلاق بين النص المستحضِر والمستحضَر"(3).

---

(1) المصدر السابق، 200.
(2) رباعي، ربى عبد القادر، **التضمين في التراث النقدي والبلاغي**، ص176.
(3) المصدر السابق، ص183.

لعل التضمين بمعناه الواسع وبضمه ألوانا وأشكالا بلاغية مختلفة كالاقتباس, والاهتدام, والاصطراف وغيرها, هو المصطلح البلاغي الأنسب ليكون بديلا عن التناص, فهو قادر على احتواء أكثر المفاهيم المشتركة بين النقاد للتناص.

لقد استخدم بعض النقاد المحدثين التضمين لمعنى لا يختلف عن مفهوم التناص. فعز الدين إسماعيل يعد "التضمين عاملا من عوامل التطور للقصيدة العربية الجديدة, فالشاعر المعاصر مختلف عن الشعراء التقليديين, فقد استقر في وعيه أنه ثمرة الماضي كله, بكل حضاراته, وأنه صوت وسط آلاف الأصوات التي لا بد من حدوث بعض التآلف بينها, فتضمينه كلام غيره بنصه, دلالة على التفاعل الأكيد بين أجزاء التاريخ الروحي والفكري للإنسان, وأن تضمينات هذا الشاعر امتدت فبزغت أصوات آخرين لا يتكلمون لغته, ولا يربطه بهم سوى رابطة الثقافة الإنسانية"[(1)] أما محمد عبد المطلب فيرى "أن الاقتباس ــ وهو جزء من التضمين ــ يمثل شكلا تناصيًا"[(2)] بينما يركز أحمد الزعبي في دراسته للتناص على الاقتباس والتضمين, والاستشهاد بهما على أنهما نموذجان من التناص, قائلا: "أما النقطة الثانية التي أود الإشارة إليها في هذا الإطار, فإنها تتعلق باستخدام مصطلح التناص ونماذجه المختلفة في أثناء الدراسة التطبيقية في هذا البحث. إذ سأستخدم مصطلحات الاقتباس والتضمين والاستشهاد وغيرها على أنها نماذج من التناص استحضرها الكاتب إلى نصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الروائي, أو السياق الشعري سواء كان هذا التناص تناصا تاريخيا أم دينيا أم أدبيا"[(3)].

أما توفيق الزبيدي, فيذهب إلى ما هو أعمق من ذلك, إذ يرى أن "التناص هو تضمين نص لنص آخر وهو أبسط تعريف له, أو هو تفاعل خلاق بين النص المستحضِر والنص المستحضَر, فالنص ليس إلا توالد لنصوص سبقته"[(4)].

إن جهود كثير من الباحثين العرب التي تركزت حول مفهوم التناص, كانت ترتد بهذا المفهوم إلى التضمين باعتباره المصطلح التراثي الألصق لمصطلح التناص, ذلك "إن مصطلحا

---

(1) إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر**، ص311.
(2) عبد المطلب، محمد، **التناص عند عبد القاهر الجرجاني**، ص65.
(3) **التضمين في التراث النقدي والبلاغي**، ص195.
(4) المغيض، تركي، **التناص وتحديد مفهومه عند الباحثين العرب**، ص90.

تراثيا آخر قد يكون ــ في رأينا ــ ألصق بالتناص وهو ــ من هذا السبيل ــ يتجاوز مصطلحه القديم (التضمين) وذلك فيما يبتعث من نص أو نصوص أو ما يتماهى في تحاور بين نصين كأنه مقابل لما نعرفه من استدعاء الشخصيات التراثية"[1].

ويربط إبراهيم السنجلاوي ربطا وثيقا بين التضمين والتناص إذ يقول: "وانطلاقا مما سبق نستطيع أن نميز بين نوعين من التناص: التناص غير الواعي الذي يقع نتيجة استخدام الكلمات التي استخدمت قديما, واستخدمها الكثيرون غيرنا, أو استخدامنا لمعان قديمة ما تزال تعيش في نفوسنا, ويندرج في هذا النوع من التناص ما وقع من تضمين في الشعر الجاهلي, لأن التراث الشعري الجاهلي كان يعتمد في كثير من الأحيان على الرواية الشفوية, وكان الشاعر ينهل من مخزون تراثي عام. والتناص الواعي وهو الذي يقصد إليه الشاعر أو الكاتب قصدا ويعرف مصدره ويستخدمه استخداما فنيا له غايته ووظيفته, وفي ضوء هذا النوع الأخير يمكن أن ندرس ظاهرة التضمين في خواتم قصائد أبي نواس, بإيراد أمثلة من هذه القصائد تحققت فيها هذه الظاهرة"[2].

أما موسى ربابعة, فإنه لا يتوانى عن استخدام التضمين مرادفا للتناص في بحثه عن ظاهرة التضمين في معلقة امرئ القيس, فقد وردت في البحث كلمات مثل: (يتضمن) و(يتناص) على أنهما يؤديان دلالة واحدة, وهو يفعل ذلك بناء على ما قاله في ترادفهما, إذ يقول: "ويمكن أن ينظر إلى التضمين على أنه مظهر تفاعل النصوص وتداخلها, ولهذا ليس هناك من ضير إذا ما نظر إلى هذا المفهوم في ضوء مفهوم معاصر هو مفهوم التناص الذي ظهر على يد جوليا كريستيفا وباختين وبارت وجيرار جنيت وجاك دريد وغيرهم"[3] وإذا كان التناص حسب رأي كرستيفا" هو ذلك التقاطع داخل التعبير مأخوذ من نصوص أخرى"[4] أو "هو تحويل أو اقتطاع من نص آخر"[5] أو كما قال باختين: "إن كل نص يبنى كفسيفساء من الاستشهادات, وكل نص

(1) عيد، رجاء، **النص والتناص, علامات في النقد**, ج18.
(2) السنجلاوي، إبراهيم، **دلالة التضمين في خواتم قصائد أبي نواس**، ص55.
(3) ربابعة، موسى، **ظاهرة التضمين البلاغيّ**, ص42.
(4) السعدني، مصطفى، **التناص الشعري**، ص77ــ 78.
(5) عبد المطلب، محمد، التناص عند عبد القاهر الجرجاني، 54.

هو امتصاص أو تحويل لنص آخر"[1] أو كما يراه عبد المالك مرتاض "بأنه ليس إلا حدوث علاقة (تفاعل النصوص) مع بعضها لإنتاج نص جديد"[2] فإن امتصاص المقروء من المنصوص واستيعابه وهضمه وإنتاجه ضمن نص جديد هو تضمين ليس إلا, وبالتالي فإن فكرة إحلال مصطلح التضمين كمصطلح قديم للتناص فكرة لها من المصداقية حظ كبير, فالتضمين كالتناص عبارة عن تداخل النصوص, وهما معا يعتمدان على فكرة نسيان المحفوظ التي قال بها ابن خلدون, فالفكرة هنا وهناك تقوم على أساس أن الإبداع تشرَّبَ أفكارًا ناتجة عن قراءة النصوص السابقة وحفظ هذه النصوص ثم نسيانها, أو استخدامها مباشرة للبناء عليها بعد تحويرها وتوليد أفكار جديدة تستند إليها.

إذا فالاتفاق الكامن بين التضمين والتناص هو " أنهما قسمان: أولهما المباشر الذي يقتبس النص بلغته التي ورد فيها كالآيات والأحاديث والقصص. وثانيهما: غير المباشر الذي يستنبط استنباطا أو يستوحي استيحاء"[3] وهكذا يتضح جليا أن مفهوم التضمين هو المفهوم الألصق بمفهوم التناص, والأكثر تعبيرا لدى النقاد القدماء عن هذا المفهوم الحديث.

يلاحظ أنه لم يكن هناك اتفاق بين رُوّاد الحداثة, فبعضهم يرشح مصطلح "التناص" وبعضهم الآخر يرشح "النصوصية أو التناصية", ومنهم من يميل إلى "تداخل النصوص" مما أدى إلى شيوع الاضطراب في مفهوم المصطلح. وهناك مجموعة من النقاد الذين زادوا المصطلح غموضا عندما عرفوه, كما هي الحال عند بارت الذي قام بتطوير المصطلح وتكثيفه, ولكنه زاده غموضا لانفتاحه على آفاق وحقول لا نهائية ولا محددة ترفد النص[4]. ويعلق رجاء عيد على هذا بقوله: ".. ومع ذلك كله فما زال المصطلح غائما تختلف إجراءاته من منظور إلى آخر, ولم يستقر بعد كمصطلح نقدي"[5].

---

[1] الزعبي، أحمد، **التناص نظريا وتطبيقيا**، ص9.
[2] مرتاض، عبد المالك، **التناص عند عبد القاهر الجرجاني**، ص50.
[3] **التضمين في التراث النقدي والبلاغي**، ص201.
[4] الزعبي، أحمد، **التناص نظريا وتطبيقيا**، ص13.
[5] عيد، رجاء، **النص والتناص**، ص178.

أما أحمد الزعبي فيعزوا الاضطراب في المصطلح, وانقسام النقاد حوله إلــى اخــتلاف وجهات نظرهم في هذا الموضوع. وأقرب مثال على ذلك اختلاف البنيويين والسيميائين ونقــاد النص من جهة, وعلماء النفس والاجتماع والتاريخ من جهة أخرى[1] وما دام مصطلح التنــاص بيد النقاد والمدارس النقدية مصطلحا غامضا, مضطربا لا حد له, فإن مصطلح التضــمين هــو المصطلح البلاغي الأنسب ليكون بديلا عن التناص, كونه واضح المقصد, مستقر المفهوم.

لعل تعريف بارت للتناص بأنه "تضمينات بدون تنصيص" يشكل قاعدة متينة للانطــلاق نحو استبدال التضمين بالتناص, ذلك أن التضمين ألصق بتراثنا النقدي, فهو يغنينا عن الاعتمــاد في بعض مصطلحاتنا على الغرب, ويمكننا من مفهوم نقدي ينسجم مع تراثنا العربي.

---

(1) الزعبي، أحمد، **النص الغائب نظريا وتطبيقا**، ص14.

الفصل الأول

أولا: دلالات النص

1. مسلك الفلاسفة واللغويين في الدراسة الدلالية

2. مسلك الأصوليين والفقهاء في دراسة دلالات الألفاظ

ثانيًا: دلالات القرائن

ثالثًا: دلالات المفهوم

دلالات النص

مسلك الفلاسفة واللغويين في الدراسة الدلالية:

انصبت جهود القدماء في تعريف علم الدلالة على أنه ذلك الفرع من علوم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى, وهم بذلك ينظرون لهذا العلم على أنه يختص بدراسة الألفاظ المفردة, ويورد فريد حيدر في كتابه "علم الدلالة" تعريفا للشريف الجرجاني عن الدلالة بأنها "كون الشيء بحالٍ, يلزم من العلم به, العلم بشيء آخر, والشيء الأول هو الدال, والثاني هو المدلول"[1].

ولو عدنا إلى لسان العرب لوجدنا أن "الدليل: هو ما يستدل به. والدليل: الدال. وقد دله على الطريق يدله دَلالة ودِلالة ودُلولة, والفتح أعلى"[2].

وقد ارتبطت دلالة لفظ "الدلالة" في الاصطلاح بدلالته في اللغة, إذ انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق, وهو معنى حسي, إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ, وهو معنى عقلي مجرد.

بدأت جهود البحث في دلالات الألفاظ منذ فلاسفة اليونان, فبينما كان سقراط يعمد في محاوراته إلى الربط بين الألفاظ ومدلولاتها ربطا طبيعيا ذاتيا كتلك الألفاظ المشتقة من أصوات الطبيعة من حفيف وخرير وزفير, كان هناك طائفة أخرى من فلاسفة اليونان يرون "أن الصلة والدلالة لا تعدو أن تكون اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس"[3]. وقد تزعم هذا الفريق فيما بعد أرسطو الذي حاول جاهدا أن يثبت عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه.

أما اللغويون العرب, فقد عكفوا على دراسة قضايا اللفظ والمعنى وقيمتها الدلالية في خدمة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية, ولحفظ نقاء اللغة وصفائها.

---

(1) حيدر، فريد عوض، **علم الدلالة** ــ دراسة نظرية وتطبيقية، ص11.

(2) **اللسان**، (د ل ل).

(3) أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، ص7.

وقد اتخذت الدراسات الدلالية لدى اللغويين اتجاهين بارزين:

الأول: اتجاه نظري تمثله الدراسات التي تناولت العلاقات الدلالية بين المفردات, وهناك بحوث مبكرة حول التضاد والترادف والمشترك وغيرها.

الثاني: اتجاه تطبيقي يتمثل في الأعمال المعجمية, التي بدأت على شكل رسائل لغوية في غريب القرآن والحديث. وكان يغلب على هذه الرسائل طابع التفسير اللغوي لألفاظها. وهناك أيضا كتب الحيوان, والنبات, واللغات – اللهجات – وكتب الدخيل والمعرب والنوادر. ثم تطورت فكرة الرسائل على يد الخليل بن أحمد ليضع معجمه العين, ولتتوالى جهود العلماء في تأليف المعاجم اللفظية والمعنوية.

وفيما يتعلق بأنواع الدلالات اللغوية فقد قسمها اللغويون[1] إلى:

1. دلالة صوتية: وهي تلك الدلالة المستمدة من بعض الأصوات. مثال ذلك ما أورده ابن جني عن دلالة "الخضم والقضم" وخلاصته أن الخضم للشيء الطري والقضم للشيء الصلب اليابس[2]، مستوحيا ذلك من دلالة صوت القاف وصوت الخاء.
2. دلالة صرفية: وهي الدلالة المستمدة من الصيغ وأبنية الكلمات, أو هي الدلالة المستفادة من الأوزان والصيغ المجردة.
3. دلالة نحوية: وهي الدلالة المحصلة من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي.
4. دلالة معجمية: ويقصد بها المعنى المعجمي.
5. دلالة اجتماعية: وهي مفهوم الكلمة المستقل عن أصواتها وبيئتها والذي على أساسه يتم التفاهم بين أفراد المجتمع.

---

(1) انظر على سبيل المثال: أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، ص44 وما يليها. وكذلك مجاهد، عبد الكريم، **الدلالة اللغوية عند العرب**، ص157 وما يليها.

(2) ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، مج2، ص157.

6. دلالة سياقية: ويقصد بالسياق ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى.

كما فرّق اللغويون بين نوعين من الدلالة انطلاقا من فكرة المركز والهامش, وهما المركزية, والدلالة الهامشية. ويحدد إبراهيم أنيس الدلالة المركزية بأنها ذلك القدر المشترك من الدلالة الذي يعرفه أفراد المجتمع بالكلمة, والذي يصل بهم إلى فهم هذه الكلمة, وقد تكون هذه الدلالة المركزية واضحة في أذهان أفراد المجتمع جميعا, وقد تكون مبهمة في أذهان بعضهم. أما الدلالة الهامشية: فهي تلك الظلال من المعاني التي تختلف من فرد إلى آخر تبعا لتجارب الأفراد وخبراتهم, وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم[1]. ولهذا يمكن القول أنها دلالة فردية ذاتية.

مسلك الأصوليين والفقهاء في دراسة دلالات الألفاظ:

كان علماء الفقه والأصوليون من أوائل المهتمين بدراسة الدلالات والألفاظ, فلا تجد أثرا أصوليا دون مقدمة لغوية حول المفردات التي هي مناط الحكم. وقد اتفق اللغويون والأصوليون وعلماء المنطق على أن دلالة اللفظ الوضعية[2] تقسم إلى ثلاثة أنواع:

1. دلالة المطابقة: وهي أن اللفظ إذا استعمل في كامل معناه الموضوع له, فدلالته عليه مطابقة, كدلالة قوله تعالى "وأحل الله البيع" على إباحة مال بمال.
2. دلالة التضمين: وهي أن يدل اللفظ على جزء ما وضع له. كأن يستعمل لفظ البيع للدلالة على الإيجاب فقط.
3. دلالة إلزامية: وهي دلالة اللفظ على لازم عقلي أو عرفي لمعناه. كدلالة قوله تعالى: "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم " على زوال ملك هؤلاء المهاجرين الذين أخرجهم الكفار من مكة عما تركوه فيها من أموال. لأن كلمة (الفقير) تدل مطابقة على من لا يملك شيئا, فإطلاق كلمة فقراء على المهاجرين يستلزم عقلا زوال ملكيتهم عن أموالهم.

---

[1] أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، ص106.

[2] دلالة اللفظ الوضعية: هي كون اللفظ بحيث يفهم العالم معناه إذا أطلق، وأن ذلك المعنى موضوع له اللفظ لغة.

وقد أسس الأصوليون من خلال دراستهم لدلالات الألفاظ, الأحكام في إطار هذه الحدود نصا واستنباطا. وتوسعوا في دلالة النص, وقسموا اللفظ من حيث وضوح الدلالة إلى واضح الدلالة, ومبهم الدلالة, مع تباين فيما بين الفقهاء حول تفرعات تلك الأقسام. وسنحاول استعراض ذلك مختصرا مع شيء من التركيز على رأي فقهاء الحنفية في فهمهم لتلك الدلالات.

دلالة الألفاظ:

يرى المتتبع لما ألفه علماء الأصول من الحنفية, أنهم يقسمون دلالة الألفاظ على الأحكام إلى أربعة أقسام هي: دلالة العبارة. ودلالة الإشارة. ودلالة النص. ودلالة الاقتضاء.

دلالة العبارة:

تعريفها: هي دلالة اللفظ على المعنى أو الحكم من سوقه أو تشريعه أصالة أو تبعا[1].

مثال ذلك, قوله تعالى: "**وأحل الله البيع وحرم الربا**" إن مدلول هذه الآية ظاهر في حكمين كل منهما مقصود من سياق النص:

أما الأول: فهو حل البيع وحرمة الربا.

والثاني: فهو التفرقة بين البيع والربا ونفي المماثلة بينهما, فالبيع حلال, والربا حرام.

إن نفي التماثل هو المقصود أصالة من السياق, لأن الآية سيقت للرد على الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا.

أما حل البيع وحرمة الربا فمقصود من السياق تبعا, لأن نفي المماثلة استتبع بيان حكم كل منهما, حتى يتوصل من اختلاف الحكمين ــ حكم نفي التماثل, وحكم حل البيع وحرمة الربا ــ إلى عدم التماثل بينهما.

---

[1] الدريني، محمد فتحي، **المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي**، ص226.

إشارة النص:

تعريفها: هي دلالة اللفظ على معنى أو حكم غير مقصود للشارع لا أصالة ولا تبعا, لكنه لازم عقلي ذاتي متأخر للمعنى الذي سيق النص من أجله وعلى هذا, فالمعنى أو الحكم الإشاري ليس معنى مطابقا للنص, ولا تضمينا, أي ليس تمام المعنى الذي يدل عليه النص, ولا جزأه, وإنما هو معنى خارج عن معنى النص لغة, ولكنه يستلزمه عقلا أو عرفا[1].

لقد قيد الأصوليون اللازم في إشارة النص بكونه متأخرا, احترازا عن اللازم المتقدم الذي يجب تقديره أو إضماره في الكلام, ليصدق عقلا, أو واقعا, أو يصح شرعا, وهو ما يسمى بالمقتضى, والدلالة عليه تسمى "دلالة الاقتضاء" وهي التي سيتناولها البحث لاحقا.

إن دلالة اللفظ على لازم ذاتي متأخر لمعناه, قد تكون واضحة لا تفتقر إلى جهد عقلي في تبينها, واستنباط الحكم عن طريقها, مثال ذلك قوله تعالى: " **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**"[2], إذ لا شك أن الآية تستوجب استفسار أهل العلم والاختصاص في كل ما تتعلق به مصالح الأمة.

إن هذا الحكم الذي سيق النص من أجله يستوجب ويستلزم عقلا وجوب وجود هؤلاء العلماء المتخصصين, وتلك الدلالة هي ما يطلق عليه إشارة النص, وهي دلالة على حكم لازم عقليا. لكن ما دام إدراك دلالة الإشارة مرهون بلازم عقلي ذاتي متأخر للمعنى الذي كان النص من أجله, فإن استواء المجتهدين بالرأي في استنباط حكمه ليس شرطا؛ كونه خاضعا لأفهام المجتهدين التي تتفاوت من شخص لآخر.

---

(1) صالح, محمد أديب, **تفسير النصوص**, ص478.

(2) سورة النحل: آية/ 43.

دلالة النص:

هي دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه, لاشتراكهما في معنى يدرك كل عارف باللغة أنه مناط الحكم من غير حاجة إلى نظر واجتهاد.

وبالتالي فإن دلالة النص هي: "فهم غير المنطوق من المنطوق بسياق الكلام"[1] ولهذا يرى السرخسي أن الثابت بدلالة النص هو "ما ثبت بمعنى النظم لغة لا استنباطا بالرأي"[2].

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: "**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك, ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما, ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**"[3].

تدل عبارة النص في الشطر الأول من الآية على أن فريقا من أهل الكتاب يتصف بالأمانة, إلى حد أنه لو ائتمن على قنطار فأنه يؤديه. وبمجرد المعرفة باللغة فأنه من باب أولى أن هذا الفريق لو ائتمن على أقل من القنطار, فأنه سيؤديه, لأن من يكون أمينا في الكثير, فهو في القليل أمين من باب أولى.

ويدل الشطر الثاني من الآية على أن فريقا آخر من أهل الكتاب أنفسهم يتسم بالخيانة, حتى أنه لو ائتمن على دينار فإنه لا يؤديه إلى من ائتمنه. ويفهم من ذلك بطريق دلالة النص, أن هذا الفريق الذي لا يؤدي أمانة الدينار, لو ائتمن على ما هو أكثر من الدينار, لا يؤديه إلى من ائتمنه, لأن من سمته الخيانة في القليل, فهو خائن بالكثير من باب أولى.

ومن أمثلة دلالة النص أيضا قول الله تعالى: "**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**"[4] إذ يدل النص على حرمة أكل أموال اليتامى ظلما, وسبب هذا

---

(1) **تفسير النصوص**، ص516.
(2) **أصول السرخسي**، ص26.
(3) سورة آل عمران: آية/ 75.
(4) سورة النساء: آية/ 10.

التحريم الذي يتبادر بمجرد المعرفة باللغة, هو تهديد أموال اليتامى وإتلافها وتضييعها علـيهم. وعلى هذا يطال التحريم كل ما من شأنه تفويت هذا المال, من إحراق, أو تبديد, أو تقصـير...، لأن ذلك يعتبر أكلا ظالما لأموال اليتامى. فثبوت التحريم واقع من دلالة الـنص, لأنهـا كلهـا تستوي مع ما ورد في الآية بأنها اعتداء على أموال اليتامى وإتلافها وتضييعها.

دلالة الاقتضاء:

هي الدلالة على معنى يتوقف عليه صدق الكلام أو صحته شرعا. وهذا التوقف مبنـي على معنى خارج عن اللفظ, لأن استقامة الكلام تقتضي هذا المعنى وتستدعيه. ومن الأمثلة على ما وجب تقديره ضرورة صحة الكلام عقلا, قوله تعالى: " **واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون**"(1).

إن صحة هذا الكلام عقليا تستوجب تقديره: واسأل أهـل القريـة, لأن السـؤال غايتـه الاستبانة, وما دامت الحال كذلك فالمسؤول يجب أن يكون من أهل البيان فاقتضى الكلام تقـدير (الأهل) ليصح ويستقيم. ومن أمثلة ما وجب تقديره ضرورة صحة الكلام شرعا, قوله تعـالى: "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير"(2).

وقوله تعالى: "حرمت عليكم أمهاتكم"(3).

إذ يقدر في الآية الأولى الأكل والانتفاع, فيما يقدر في الثانية الزواج.

لتحديد دلالة اللفظ على معناه من ناحية الوضوح والإبهام, أثـر ملحـوظ فـي تفسـير النصوص, واستنباط الأحكام, وقيام التكليف بمقتضى الألفاظ ومدلولاتها في الشريعة الإسلامية.

---

(1) سورة يوسف: آية/ 82.
(2) سورة المائدة: آية/ 3.
(3) سورة النساء: آية/ 23.

وقد قسم الأصوليون ألفاظ القرآن الكريم من حيث وضوحها في الدلالة على قسمين:

القسم الأول: واضح الدلالة على معناه. وهو الذي لا يحتاج فهم المعنى المراد منه, أو تطبيقه على الوقائع, إلى أمر خارج عنه.

القسم الثاني: مبهم الدلالة على معناه, وهو الذي يحتاج فهم المعنى المراد منه, أو تطبيقه على الوقائع, إلى أمر خارج عنه.

تتفاوت الألفاظ واضحة الدلالة في وضوحها في الدلالة على المعنى المراد, كما تتفاوت الألفاظ مبهمة الدلالة في درجة خفاء دلالتها على المعنى المراد. وبناء على الوضوح والإبهام, ومقدار التفاوت في كل منهما, اختلف الحنفية والمتكلمون في تقسيم الألفاظ من حيث الوضوح والإبهام في الدلالة على الأحكام. فبينما قسم علماء الحنفية اللفظ الواضح في دلالته إلى أربعة أقسام هي: الظاهر, والنص, والمفسر, والحكم. نجد أن جمهرة المتكلمين قسموا اللفظ الواضح الدلالة إلى قسمين هما: الظاهر, والنص. كما أن علماء الحنفية قسموا اللفظ باعتبار الخفاء في دلالته إلى: الخفي, والمشكل, والمجمل, والمتشابه. نجد جمهرة المتكلمين يقسمونه إلى قسمين هما: المجمل والمتشابه.

الظاهر:

عرف السرخسي في أصوله الظاهر بأنه: "ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل, وهو الذي يسبق إلى العقول والأوهام لظهوره موضوعا فيما هو المراد"[1] وقال فخر الدين البزدوي: "الظاهر اسم لكل كلام ظهر المراد منه للسامع بصيغته"[2]. وعرفه الشاطبي بقوله: " كل ما كان من المعاني العربية التي لا ينبغي فهم القرآن إلا عليها فهو داخل تحت الظاهر "[3].

---

[1] **أصول السرخسي**، ص164.
[2] **تفسير النصوص**، ص142.
[3] **الموافقات**, ج3, ص244.

واضح مما سبق أن فهم المراد من اللفظ لا يتوقف على قرينة خارجية, وإنما يتضح مدلوله المراد من الصيغة نفسها. وبالتالي فأن الظاهر هو الذي "يدل على معناه بصيغته من غير توقف على قرينة خارجية, مع احتمال التخصيص والتأويل وقبول النسخ"[1] ومن أمثلة الظاهر, قوله تعالى: " . . . وأحل الله البيع وحرم الربا "والمعروف من أسباب النزول أن الآية مسوقة لنفي التماثل بين البيع والربا ردا على اليهود الذين زعموا أن البيع مثل الربا, ورغم ذلك؛ فالآية ظاهرة الدلالة في حل البيع وحرمة الربا, باللفظ نفسه دون حاجة إلى قرينة خارجية. ومن أمثلة الظاهر أيضا, قوله تعالى: "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع, فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا . . . "[2].

فمع أن الآية سيقت لأمور أهمها: تحديد الحل بأربع زوجات, وأنه إذا خيف الجور فالواجب الاقتصار على واحدة, أو ما ملكت اليمين, فإن الآية ظاهرة الدلالة في إباحة الزواج, بما طاب من النساء, دون توقف هذه الدلالة في الإباحة على أمر خارجي.

---

[1] المصدر السابق، ص143.

[2] سورة النساء: أية/ 3.

النص:

هو: "ما يزداد وضوحا بقرينة تقترن باللفظ من المتكلم, ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرا دون تلك القرينة"[(1)].

ويعرفه محمد شلبي بأنه: "ما دل على معناه بنفس الصيغة وكان مسوقا لإفادة هذا المعنى واحتمل التأويل أو التخصيص"[(2)] فيما يرى الرازي أن النص هو: "ما دل على المعنى دلالة قطعية"[(3)].

ومن أمثلة النص, قوله تعالى: "يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة"[(4)].

فإذا كانت الآية (ظاهراً) في الأمر بأن لا يزيد المكلف على طلقة واحدة, فهي (نص) في بيان المراعاة وقت السنة, عند إرادة الطلاق, لأن الكلام سيق لذلك كما في قول الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في شأن ابن عمر حين طلق زوجته وهي حائض ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر, ثم تحيض فتطهر, فإن بدا له أن يطلقها, فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء"[(5)].

---

(1) **أصول السرخسي**، ص164.

(2) شلبي، محمد مصطفى، **أصول الفقه الإسلامي**، ج1، ص450.

(3) الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، **المحصول في علم أصول الفقه**، ج1، ص230.

(4) سورة الطلاق: آية/ 1.

(5) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**, المجلد الثالث، ص512.

المفسِّر:

"هو اللفظ الذي يدل على الحكم دلالة واضحة, لا يبقى معها احتمال للتأويل أو التخصيص, ولكنه مما يقبل النسخ في عهد الرسالة "[1]. وقد عبر عنه السرخسي بأنه: "اسم للمكشوف الذي يعرف المراد به مكشوفا على وجه لا يبقى معه احتمال للتأويل"[2] أو هو "ما دل على معناه المسوق لإفادته دون أن يحتمل تأويلا أو تخصيصا, وإن احتمل النسخ في زمن الرسالة"[3].

وبهذا كان المفسر فوق الظاهر والنص وضوحا؛ لأن احتمال التأويل والتخصيص قائم فيها. أما المفسر فلا يحتمل شيئا من ذلك.

ومن أمثلته في القرآن الكريم, قوله تعالى: "**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**"[4].

وقوله تعالى في عقوبة الزنا: " **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**"[5] فكل من كلمة (ثمانين) في الآية الأولى, وكلمة (مائة) في الآية الثانية عدد, والعدد لا يحتمل الزيادة, ولا النقص – إذا ما استثنينا العدد سبعين الذي كانت العرب تستعمله للتكثير أحيانا – فهو من المفسر؛ لذا كانت دلالة العدد في الآيتين دلالة واضحة قطعية, لا تحتمل تأويلا ولا تخصيصا. ولكن هذه الأحكام كلها, كانت تحتمل النسخ في عهد الرسالة.

---

(1) **تفسير النصوص**، ص165.

(2) **أصول السرخسي**، ص165.

(3) **أصول الفقه الإسلامي**، ص453.

(4) سورة النور: آية/ 4.

(5) سورة النور: آية/ 2.

المحكم:

"هو اللفظ الذي دل على معناه دلالة واضحة قطعية, لا تحتمل تأويلا ولا تخصيصا ولا نسخا حتى في حياة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ولا بعد وفاته بالأولى[1] " ولعل هذا التعريف يتفق تماما مع تعريف محمد شلبي للمحكم بأنه: "ما دل على معناه المسوق لإفادته بصيغته ولا يحتمل التأويل, ولا التخصيص, ولا النسخ, لا في زمن الرسالة ولا بعدها "[2] ويعتبر المحكم أقوى هذه الأنواع ومقدما عليها من حيث القوة في الدلالة, ويليه المفسّر, فالنص, فالظاهر.

ومن أمثلته في القرآن الكريم, قوله تعالى: "**والله بكل شيء عليم**" فقد ثبت بالدليل المعقول, أنه وصف دائم أبدا لا يجوز سقوطه. ومن أمثلته أيضا, قوله تعالى: "**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا**"[3].

إذ يدل اللفظ دلالة قطعية واضحة على تحريم نكاح أزواج النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – من بعده.

(المبهم) في غير الواضح الدلالة:

يراد بالمبهم هنا, اللفظ الذي خفيت دلالته على الحكم خفاء لذاته, أو لعارض, فتوقف فهم المراد منه على شيء خارجي غيره, وقد يزول هذا الخفاء بالاجتهاد فيفهم المراد, وقد يتعذر زواله إلا ببيان من الشارع.ونسوق فيما يلي أقسام المبهم كما تناولها الفقهاء الأجلاء, مع التمثيل من كتاب الله على كل قسم من هذه الأقسام.

---

[1] **تفسير النصوص**، ص171.
[2] **أصول الفقه الإسلامي**, ص554.
[3] سورة الأحزاب: آية/ 53.

الخفي:

يعتبر الخفي أقل أنواع المبهم خفاء وأدناها رتبة, وقد عرفه السرخسي بأنه "اسم لما اشتبه معناه, وخفي المراد منه بعارض في الصيغة يمنع نيل المراد بها إلا بالطلب"[(1)] وهو بذلك يحتاج إلى إطالة نظر وتأمل واجتهاد لإزالة إبهامه. ومن أمثلته في القرآن الكريم, قوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . . "[(2)].

فلفظ السارق يطلق على من يأخذ مال غيره من حرز مثله خفية دون شبهة وقد بلغ النصاب المحدد, وهو ظاهر في هذا المعنى ولكنه خفي في النبّاش, وهو الذي يسرق الأكفان من القبور, وخفي في الطّرّار أيضا, وهو الذي يسرق الناس في يقظتهم.

مما تقدم يتبين أن الطريق لإزالة هذا الخفاء هي البحث والاجتهاد والتأمل في مدلولات هذا اللفظ.

المشكل:

يعتبر المشكل فوق الخفي, وهو الذي أشكل على السامع طريق الوصول إلى المعنى الذي وضعه له واضع اللغة, أو أراده المستعير. وقد عرفه أبو زهرة بقوله:" هو الذي خفي معناه بسبب في ذات اللفظ "[(3)], وعرفه محمد شلبي بأنه " لفظ خفي مدلوله لتعدد المعاني التي يستعمل فيها, ويدرك ذلك بالعقل من غير توقف على نقل "[(4)]. وهكذا يتضح أن منشأ الإبهام في المشكل إما بسبب غموض في المعنى, بحيث يحتمل اللفظ في أصل وضعه المعاني المتعددة حقيقة, ويكون المراد منها واحدا, لكنه قد دخل في إشكاله – وهي تلك المعاني المتعددة – فاختفى عن السامع, وصار محتاجا إلى الاجتهاد في تمييزه بدليل. وقد يكون منشأ الإشكال, أن

---

(1) **أصول السرخسي**، ص167.

(2) سورة المائدة: آية/ 38.

(3) **أصول الفقه**، ص128.

(4) **أصول الفقه الإسلامي**، ص465.

يستعمل معنى مجازيا للفظ من الألفاظ حتى يشتهر به, مع أنه موضوع في الأصل لمعنى آخـــر على سبيل الحقيقة.

ومن أمثلة المشكل, قوله تعالى: "... فأتوا حرثكم أنّى شئتم.."[1] إذ أن كلمة (أنّـــى) في كلام العرب تقارب (أين) و(كيف) في المعنى, ولهذا فقد ذهب فريق إلى أن معنى (أنى) في الآية: كيف, وذهب آخرون إلى تأويل (أنّى شئتــم) بـــ: متى شئتم. وقال آخرون: معنى (أنّى شئتم) أين شئتم وحيث شئتم. وذهب قوم إلى أن المعنى: ائتوا حرثكم كيــف شـــئتم, إن شـــئتم فاعزلوا, وإن شئتم لا تعزلوا[2].

لذلك فالمسألة تحتاج إلى بحث وتأمل, وذلك لتداخل المعاني في بعض الألفاظ التي قــد تشكل أساسا يقوم على الاختلاف في تأويل الآيات والحكم الذي دلت عليه.

المجمل:

يعتبر المجمل أخفى من المشكل, ذلك أن البيان في المجمل لا يكون إلا من قبل المجمل نفسه, بينما يمكن في المشكل أن يكون بالبحث والتأمل بعد الطلب. علما بأن المجمل والمشـــكل يشتركان في أن الغموض فيهما ذاتي.

لقد تناول كثير من الأصوليين "المجمل", وفيما يلي ملخص لتعريفهم إياه, فهذا أبو زهرة يعرفه بأنه: "الذي ينطوي معناه على عدة أحوال وأحكام قد جمعت فيه, ولا يمكن معرفتهـــا إلا بمبين"[3], ويعرفه محمد شلبي بأنه: "ما خفي المراد منه وكان خفاؤه ناشئا من اللفـــظ بحيـــث لا يدرك إلا ببيان من المجمل نفسه لعدم وجود قرائن تبين المراد منه "[4], وليس بعيدا من ذلك ما ذهب إليه السرخسي في تعريفه للمجمل بأنه: "لفظ لا يفهم المراد منه إلا باستفسار من المجمـــل وبيان من جهته يعرف بها المراد"[5].

---

(1) سورة البقرة: آية/ 223.
(2) انظر تفصيل ذلك في **تفسير النصوص**، ص295.
(3) **أصول الفقه**، ص131.
(4) **أصول الفقه الإسلامي**، ص467.
(5) **أصول السرخسي**، ص168.

وقد رد العلماء المجمل إلى أسباب ثلاثة:

الأول: نقل اللفظ من معناه الظاهر في اللغة إلى معنى شرعي جديد, فكلمة الصلاة تعني عند أهل اللغة: الدعاء, وقد جاء الإسلام فأطلقها على العبادة المخصوصة.

الثاني: تزاحم المعاني, وانسداد باب ترجح واحد على غيره, وقد مثل له الفقهاء بلفظ "الموالي" فإنه يطلق على المعتقين – بكسر التاء – والمعتقين بفتحها.

الثالث: هو ما يكون إجماله ناشئا عن غرابة اللفظ في المعنى الذي استعمل فيه. مثال ذلك لفظ " الهلوع " في قوله تعالى: "**إن الإنسان خلق هلوعا**"(1).

والهلوع هو الحريص الجزوع, وإذا كان الهلوع شديد الحرص قليل الصبر, فإن استعماله في هذا المعنى غريب لا يمكن فهم المراد منه دون بيان, ولذلك بينه تعالى بقوله: "**إذا مسه الشر جزوعا, وإذا مسه الخير منوعا** "(2).

المتشابه:

إذا كان المحكم أقوى أقسام الواضح من حيث الدلالة, فإن، المتشابه أشد أقسام المبهم خفاء وإيغالا في الإبهام. وقد عرفه الأصوليون بأنه: "اللفظ الذي يخفى معناه, ولا سبيل لأن تدركه عقول العلماء, كما أنه لا يوجد ما يفسره تفسيرا قطعيا أو ظنيا من الكتاب أو السنة "(3), ومرد هذا اللبس إلى عدم وجود قرينة تدل عليه, ولم يرد عن الشارع بيانه, وهو لذلك يحتمل أكثر من وجه. وطريقة إزالة غموضه وخفائه تكون بحمله على المحكم الذي لا يحتمل إلا وجها واحدا.

مثال ذلك: (يطهرْن) و(يطّهّرن) بالتخفيف والتشديد من قوله تعالى: "**ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطّهّرن فأتوهن من حيث أمركم الله**"(4).

---

(1) سورة المعارج: آية/ 19.

(2) سورة المعارج: آية/ 20, 21.

(3) **أصول الفقه**، ص134.

(4) سورة البقرة: آية/ 222.

فمن قرأ بالتخفيف (يطهرن) أراد انقطاع الدم حيث لا يحتمل اللفظ غيره. ومن قرأ بالتشديد (يطّهّرن) كان اللفظ محتملا لانقطاع الدم والاغتسال, فلما احتمل اللفظ المعنيين, حمل على ما لا يحتمل إلا وجها واحدا, وهو انقطاع الدم. فصارت قراءة التخفيف محكمة, وقراءة التشديد متشابهة, وحكم المتشابه أن يحمل على المحكم ويرد إليه.

في دلالة اللفظ العام:

انسجاما مع اهتمام علماء المسلمين بدراسة الدلالة, وإدراكهم لأهمية هذه الدراسة في فهم النص القرآني الكريم والحديث النبوي الشريف, فقد قاموا بدراسة الألفاظ وتقسيمها من حيث دلالتها على جميع ما تشير إليه من الأفراد وعدم ذلك إلى ثلاثة أقسام:

1. عام
2. خاص
3. مشترك

أولا: اللفظ العام:

"العام هو اللفظ الدال على استغراق أفراد مدلوله, مع كون الأفراد غير محصورين."[(1)] وقد عرفه أبو زهرة بأنه: "اللفظ الدال على كثيرين, المستغرق في دلالته لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد"[(2)] وقوله "بحسب وضع واحد" يخرج به المشترك الذي يدل على أكثر من معنى واحد, مثل "كلمة" ومدلولاتها. أما السرخسي فيعرفه بقوله: "كل لفظ ينتظم جميعا من الأسماء لفظا أو معنى"[(3)] وعرفه فاضل عبد القادر بقوله: "هو لفظ وضع وضعا واحدا للدلالة على جميع ما يصدق عليه من الأفراد من غير حصر"[(4)].

---

(1) حيدر، فريد عوض، **علم الدلالة** ــ دراسة نظرية وتطبيقية، ص99.

(2) **أصول الفقه**، ص156.

(3) **أصول السرخسي**، ص125.

(4) عبد الرحمن، فاضل عبد الواحد، **أصول الفقه**، ص209.

وللعموم ألفاظ كثيرة وضعت لإفادته, منها:

1. الجمع المعرف. كما في قوله تعالى: "قد أفلح المؤمنون"[1].

2. المفرد المعرف باللام أو بالإضافة. مثل قوله تعالى: "وأحل الله البيع" [2] أي كل بيع.

3. الموصولات. مثل قوله تعالى: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا "[3]. فإن اسم الموصول فيه يشمل كل آكل لمال اليتيم من غير حق.

4. أسماء الاستفهام. كمن, ومتى, وماذا, وأين, كقوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم "[4].

5. أساء الشرط. كمن, وما, وأي, وأين. مثل قوله تعالى: " فمن شهد منكم الشهر فليصمه"[5].

6. النكرة الواقعة في سياق النفي, أو النهي, أو الشرط, مثل قوله تعالى: "ولا تصّل على أحد منهم مات أبدا"[6].

7. لفظ كل وجميع. فإنهما يدلان على العموم فيما يضافان إليه, كقوله تعالى: "كل نفس بما كسبت رهينة "[7].

وقوله تعالى: "وإنا لجميع حاذرون"[8].

---

(1) سورة المؤمنون: آية/ 1.
(2) سورة البقرة: آية/ 275.
(3) سورة النساء: آية/ 9.
(4) سورة الحديد: آية/ 11.
(5) سورة البقرة: آية/ 185.
(6) سورة التوبة: آية/ 84.
(7) سورة المدثر: آية/ 38.
(8) سورة الشعراء: آية/ 56.

وفيما يتعلق بدلالة العام فقد ذهب جمهور الأصوليين إلى أن دلالة العام على جميع أفراده ظنية لأن أكثر ما ورد من ألفاظ العموم أريد به بعض أفراده, حتى شاع بين العلماء قولهم: "ما من عام إلا وقد خصص", فعلى ذلك لا يكون العام قطعيا في دلالته, بل هو ظني الدلالة. أما الحنفية فيرون أن دلالة العام على كل أفراده قطعية ما لم يدل على خروج بعضها منه[1].

أما دلالة العام بعد تخصيصه على ما بقي من الأفراد فهي ظنية لا قطعية بلا خلاف.

---

[1] عبد الرحمن، فاضل عبد الواحد، **أصول الفقه**، ص222.

ثانيا: دلالة اللفظ الخاص:

"اللفظ الخاص هو كل لفظ ليس عاما"[1] وعرفه السرخسي بقوله: "هو كل لفظ موضوع لمعنى معلوم على الانفراد, وكل اسم لمسمى معلوم على الانفراد"[2] لذلك فأن اللفظ الخاص هو اللفظ الموضوع للدلالة على معنى واحد على سبيل الانفراد. ويجمع الأصوليون على أن دلالة الخاص دلالة قطعية على المعنى الذي وضع اللفظ من أجله في اللغة. مثال ذلك قوله تعالى: "فكفارته إطعام عشرة مساكين. . ."[3].

فدل لفظ العشرة على وجوب إطعام عشرة مساكين, حيث لا يحتمل لفظ العشرة زيادة ولا نقصانا. ويشمل الخاص أربعة أنواع:–

أ. المطلق.

ب. المقيد.

ج. الأمر.

د. النهي.

وهي أنواع أشبعت بحثا من قبل الأصوليين[4].

---

(1) **علم الدلالة**, دراسة نظرية وتطبيقية، ص104.

(2) **أصول السرخسي**، ص124.

(3) سورة المائدة: آية/ 89.

(4) انظر عبد الرحمن، فاضل، **أصول الفقه**. وأيضا الدريني، محمد فتحي، **المناهج الأصولية**. وأيضا صالح، محمد أديب، **تفسير النصوص**. وأيضا أبو زهرة، محمد، **أصول الفقه**.

ثالثًا: في دلالة المشترك اللفظي:

اللفظ المشترك هو اللفظ الذي يدل على معنيين أو أكثر بوضع مختلف, كـالقرء فإنـه يطلق على الحيض, وعلى الطهر, كل منهما بوضع مستقل. وكلفظ "عين" في إطلاقها على الباصرة, وعلى الجارية, وعلى الذات, وعلى الجاسوس... ويعلل ورود المشترك في اللغة لأسباب عديدة منها:

1. تعدد القبائل العربية واختلاف لهجاتها, إذ تضع هذه القبيلة اللفظ لمعنى, وتضعه الأخرى لمعنى مغاير, كالجون بمعنى الأسود في لغة قضاعة, وبمعنى الأبيض عند سواها[1]. قال أبو ذؤيب:

والدَّهْـرُ لا يَبْقَى عَلى حَدثانِهِ **جَوْنُ** السَّـراةِ لَـهُ جَدائدُ أرْبَـعُ[2] (كامل)

جون السراة: حمار أسود الظهر, والجدائد: جمع جدود؛ وهي الأتان التي لا لبن لها.

وقال الفرزدق:

وجوْنٍ عليه الجِصُّ وهيَ مَريضَةٌ تَطَلَّعُ مِنْهُ النَّفْسُ والموتُ حاضِرُه[3] (طويل)

أراد **بالجون:** قصرًا أبيضَ.

2. أن ينتقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى اصطلاحي, فيكون حقيقة لغوية في الأول وعرفية في الثاني, وبهذا يكون مشتركا.

3. أن يكون اللفظ موضوعا لمعنى مشترك بين معنيين, فتصلح الكلمة لكل من المعنيين, لوجود المعنى الجامع بينهما, ثم يغفل الناس عن ذلك المعنى الجامع, فيعدون الكلمة من قبيل المشترك اللفظي.

---

(1) النحوي, سليمان بن بنين الدقيقي, **اتفاق المباني وافتراق المعاني**, ص201.
(2) **الأضداد**, ص122.
(3) **الأضداد**, ص112.

4. المجاز: ويقصد به "استعمال اللفظ لغير ما وضع له"[1] وهذا يستدعي وجود مناسبة بين المعنى الحقيقي والمجازي تستدعي العرف أن يستسيغ الاستعمال ولا يمجّه. وقد قسم علماء البلاغة المجاز[2] قسمين:

أ- المجاز العقلي: ويكون في الإسناد؛ أي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له.

ومن أمثلته قول طرفة بن العبد:

سَتُبْدي لَكَ **الأيّامُ** ما كُنْتَ جاهِلا   ويَأْتيكَ بالأخْبارِ مَنْ لَمْ تُزوّدِ[3](طويل)

إذ أسند الفعل **(ستبدي)** إلى **(الأيام)**, أي إلى غير فاعله الحقيقي؛ لأن الفاعل الحقيقي هو حوادث الأيام, والذي سوّغ هذا الإسناد أن المسند إليه **(الأيام)** زمان الفعل, وهنا يصبح الإسناد مجازا عقليا علاقته الزمانية.

ب- المجاز اللغوي: ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معانٍ أخرى بينها صلة ومناسبة. والمجاز اللغوي نوعان: استعارة ومجاز مرسل.

ومن أمثلة الاستعارة قول المتنبي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وَأَقْبَلَ يَمْشي في البِساطِ فَما دَرَى   إلى **البَحْرِ** يَسْعَى أَمْ إلى البَدْرِ يَرْتَقِي[4](طويل)

فكلمة **(البحر)** فيها استعارة, والمقصود بها سيف الدولة. والذي يمنع إرادة المعنى الحقيقي قرينة لفظية هي **(فأقبل يمشي في البساط)**.

---

(1) مغنية, محمد جواد, **علم أصول الفقه في ثوبه الجديد**, ص23.

(2) انظر, عتيق, عبد العزيز, **علم البيان**, 1974م, ص142 وما يليها.

(3) الزوزني, **شرح المعلقات السبع**. ص 97.

(4) **ديوان المتنبي**, ص 347.

أما المجاز المرسل فكقول عنترة في معلقته:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ **ثِيابَهُ** لَيْسَ الكَرِيمُ على القَنَا بِمُحَرَّمِ[1] (كامل)

فالشاعر يعني بقوله(شككت ثيابه) شككت قلبه. فالمجاز في كلمة (ثيابه) التي أطلقت وأريد بها ما يجاورها من القلب أو أي مكان آخر في الجسم يصيب الرمح منه مقتلا.

5. سوء فهم المعنى وخاصة عند الأطفال.

6. الاقتراض من اللغات الأخرى مع اتفاق اللفظين في الصورة الصوتية.

لم يحظ المشترك اللفظي بإجماع اللغويين والأصوليين, فبينما أيد وجوده بعضهم, فقد عارض وجوده آخرون. وآراء كلا الطرفين شائعة في كتب اللغويين والأصوليين على السواء.

ومن أمثلته في القرآن الكريم, قوله تعالى: "**إن الله وملائكته يصلون على النبي**"[2] فإن الصلاة من الله الرحمة, ومن الملائكة الدعاء والاستغفار.

---

[1] **الزوزني**, شرح المعلقات السبع, ص207.

[2] سورة الأحزاب: آية/ 56.

دلالات القرائن

أولا: القرائن اللفظية:

ترد القرائن اللفظية لدى الأصوليين على نوعين:

1. قرائن لفظية متصلة:

"هي تلك القرائن المصاحبة للفظ العام, وقد تكون هذه القرائن جملة مستقلة, لكنها متصلة في سياق اللفظ العام نفسه"[1] مثل قوله تعالى: "**فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**"[2]. (فمن) اسم شرط من ألفاظ العموم, وقد جاءت الجملة بعد اسم الشرط لتخرج المريض والمسافر من دلالة العموم. وقد يأتي التخصيص بألفاظ متصلة غير مستقلة, ويشتمل هذا على أربعة أنواع:

أ- لتخصيص بالاستثناء, كقوله تعالى: "**كل شيء هالك إلا وجهه**"[3].

ب- لتخصيص بالصفة, كقوله تعالى: "**فتحرير رقبة مؤمنة**"[4].

ج- التخصيص بالشرط, كقوله تعالى "**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف**"[5].

د- لتخصيص بالبدل, كقوله تعالى: "**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**"[6] فـ (حتى) تفيد انتهاء الغاية الزمنية.

---

[1] **علم الدلالة**، دراسة نظرية وتطبيقية، 102.
[2] سورة البقرة: آية/ 185.
[3] سورة القصص: آية/ 88.
[4] سورة النساء: آية/ 92.
[5] سورة البقرة: آية/ 180.
[6] سورة البقرة: آية/ 187.

2. قرائن لفظية منفصلة:

"هي القرائن غير المذكورة في السياق نفسه, بل وردت في موضع آخر, وقد تكون هذه القرينة آية كريمة أو حديثا شريفا"[1]. ومن تخصيص آية بأخرى قــولـــه تعالى: "**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**"[2].

فكل من يقذف محصنة, ولم يأت على ذلك بأربعة شهداء يدخل تحت عموم هذه الآيـــة. غير أن آية أخرى وردت تقول: "**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله**"[3].

ثانيًا: القرائن غير اللفظية

هي الظروف الملابسة للحدث الكلامي, وتتمثل هذه القرائن فيما يلي:

1. الحس: ومن أمثلة ما خصص به, قوله تعالى: "**ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**"[4]. وقد أتت على الأرض والجبال ولم تجعلهما رميما بدلالة الحس.
2. العقل: ومن أمثلة ما خصص به, قولـــه تعالى: "**خالق كل شيء**"[5]. فقد خـــرج من كل شيء ذات الله تعالى وصفاته.
3. العرف أو العادة: مثال ذلك إطلاق لفظ (الدابة) على التي يحمل عليها فقط مـــع أنها في الأصل للدلالة على كل ما يدب على الأرض.

---

(1) **علم الدلالة**، دراسة نظرية وتطبيقية، ص103.

(2) سورة النور: آية/ 4.

(3) سورة النور: آية/ 6.

(4) سورة الذاريات: آية/ 42.

(5) سورة الأنعـــام: آية/ 102.

دلالات المفهوم

تقسم دلالة المفهوم إلى قسمين:

1. مفهوم الموافقة   2. مفهوم المخالفة

أولاً: مفهوم الموافقة:

"هو دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق للمسكوت عنه, وموافقته لـه نفيا وإثباتا, لاشتراكهما بمعنى يدرك بمجرد معرفة اللغة؛ دون الحاجة إلى بحث واجتهاد"[1]. وسمي مفهوم الموافقة بهذا الاسم لأن المسكوت عنه موافق للمذكور في الحكم.

ومن أمثلته في القرآن الكريم, قوله تعالى في معرض النهي عن تأفف الوالدين: "**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما**"[2] فإن مفهوم النص هو النهي عن قول أف للوالدين, ولكنه يفهم منه بصورة أولى تحريم ضربهما المسكوت عنه.

مثال آخر, قوله تعالى: "**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره, ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**"[3]. ويفهم من هذا النص بطريق الأولوية أن من يعمل أكثر من ذرة من خير أو شر يره.

ثانياً: مفهوم المخالفة:

"هو دلالة المنطوق على ثبوت خلاف حكمه, المقيد بقيد, لغير المنطوق عند انتفاء ذلك القيد المعتبر في تشريعه"[4], بمعنى أن يكون المسكوت عنه مخالفا للمنطوق في الحكم إثباتا ونفيا.

---

(1) **تفسير النصوص**، ص608.

(2) سورة الإسراء: آية/ 23.

(3) سورة الزلزلة: آية/ 7، 8.

(4) **المناهج الأصولية**، ص324.

ويأتي مفهوم المخالفة على أنواع منها:

1. مفهوم الصفة: وهو دلالة اللفظ الموصوف بصفة على نقيض حكمه عند انتفاء ذلك الوصف. مثال ذلك, قوله تعالى: "ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات"[1].

فالنص يدل على أن المسلم إذا لم يملك القدرة على الزواج بالحرائر يحل له الزواج بالإماء المؤمنات, كما يدل بمفهومه المخالف على أنه في هذه الحالة يحرم عليه الزواج بالإماء الكافرات. والسبب في ذلك انتفاء الوصف الذي قيد به الحكم في المنطوق وهو الإيمان, فثبوت وصف الإيمان, كان الحل, وبانتفائه انتفى الحل, وكانت الحرمة.

2. مفهوم الشرط: "وهو دلالة اللفظ الذي علق الحكم فيه بشرط على ثبوت نقيض هذا الحكم للمسكوت الذي انتفى عنه ذلك الشرط"[2]. وذلك كقوله تعالى: "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة, فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا"[3].

يدل هذا النص بمنطوقه على حل أخذ شيء من صداق المرأة إذا طابت نفسها بذلك, ويدل بمفهومه المخالف, على حرمة أخذ هذا الشيء إذا لم تطب نفس المرأة به. لأن الحل مشروط برضا الزوجة, وينتفي بانتفائه.

3. مفهوم الغاية: "هو دلالة النص – الذي قيد الحكم فيه بغاية – على حكم للمسكوت بعد هذه الغاية مخالف للحكم الذي قبلها "[4].

ومن أمثلة ذلك, قوله تعالى: "فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره"[5].

---

[1] سورة النساء: آية/ 25.
[2] **تفسير النصوص**، ص613.
[3] سورة النساء: آية/ 4.
[4] **تفسير النصوص**، 615.
[5] سورة البقرة: آية/ 230.

فالمدلول الواضح لمنطوق الآية هو تحريم المطلقة ثلاثا على زوجها واستمرار هذا التحريم حتى تتزوج برجل آخر. أما مفهوم الآية المخالف, فهو أن المطلقة إذا نكحت زوجا آخر حلت لزوجها الأول.

4. مفهوم العدد: "هو دلالة النص الذي قيد بعدد مخصوص – على ثبوت حكم للمسكوت مخالف لحكم المنطوق, لانتفاء ذلك القيد"[1].

مثال ذلك, قوله تعالى: "**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة. . .**"[2].

وقوله تعالى: "**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة. . .**"[3].

يقيد النص الأول وجوب الجلد مائة جلدة, والنص الثاني ثمانين, وهذا يدل بطريقة المفهوم المخالف على عدم وجوب الزيادة عليها.

دلالة التضاد:

يستخدم مصطلح التضاد في الدلالة على عكس المعنى, إذ تؤدي الكلمة معنيين متناقضين – كما يقول الأنباري[4].

وألفاظ التضاد هي: "الألفاظ التي تقع على الشيء وضده في المعنى"[5], نحو الجون للأسود, والجون للأبيض. والأضداد – كما يقول أبو الطيب اللغوي – "هي جمع ضد, وضد كل شيء ما نافاه, (...), وليس كل ما خالف الشيء ضدا له"[6].

---

(1) **تفسير النصوص**، ص617.

(2) سورة النور: آية/ 2.

(3) سورة النور: آية/ 4.

(4) الأنباري، محمد بن القاسم، **الأضداد**. ص1.

(5) حسن، عزة، **مقدمة الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي**، ص16.

(6) اللغوي، أبو الطيب، **الأضداد في كلام العرب**، ج1.

ومن الأمثلة على الأضداد كلمة (البين) التي تعني الافتراق والاتصال, فمن البين بمعنى الاتصال, قوله تعالى: "**لقد تقطع بينكم**"[1].

بمعنى تفرق الاتصال بينكم. ومن البين بمعنى الافتراق والبعد, قول امرئ القيس في معلقته:

كَأنّي غَداةَ **البَيْنِ** يَوْمَ تَحَمَّلوا لَدَى سُمَراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ(طويل)

والأصل في البينية أن تكون بين اثنين, وإنما كان التضاد هنا باختلاف وجهة النظر, كالمفصل يفصل العضد عن الساعد ويصل بينهما. قال جرير:

بانَ الخَليطُ ولَوْ طُوِّعْتُ مَا **بَانَا** وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أَقْرانا[2]

وهي هنا بمعنى الذهاب والفراق.

ومن الشواهد على البين بمعنى الوصال قول الشاعر:

لَقَدْ فَرَّقَ الواشونَ **بيْني وبيْنَها** فَقَرَّتْ بِذاكَ الوَصْلِ عيْني وعيْنُها[3] (طويل)

كذلك قول الشاعر:

لَعَمْرُكَ لَوْلا **البيْنُ** لا نَقْطَعُ الهَوى ولَوْلا الهَوى ما حَنَّ **للبيْنِ** آلِفُ[4] (طويل)

---

[1] سورة الأنعام: آية/ 94.

[2] **الديوان**, ص593.

[3] **اللسان**, (ب ي ن), ولم ينسبه.

[4] **اللسان**, (ب ي ن), ونسبه إلى قيس بن ذريح.

الفصل الثاني

لغة الشعر ولغة القرآن الكريم.

لغة الشعر ـ لغات (لهجات) العرب.
ـ اللغة المشتركة.
ـ لغة الشعر.

لغة القرآن الكريم ـ اللسان العربي المبين.
ـ الأحرف السبعة
ـ القراءات القرآنية.

لغات (لهجات) العرب:

تمثل دراسة اللهجات العربية مدخلا مهما في فهم طبيعة العربية الفصحى, وتفسيرا ملائما لتعدد القراءات القرآنية, مما دفع بكثير من الغُيُر على دينهم ولغتهم إلى البحث والتنقيب عن تلك اللهجات، بيد أن القدماء قد خلطوا بين اللغة واللهجة, ولم تكن العلاقة بينهما في أذهان اللغويين العرب واضحة تماما إذ لم يكونوا يفرقون بينهما ويستعملونهما مترادفين, فهذا ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة[1] والثعالبي في كتابه فقه اللغة والأمالي للثعالبي وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب اللغة للأصمعي ومثله لابن زيد الأنصاري وآخر للفراء ومعجمات اللغة وغيرها تبرز ألوانا ومظاهر متعددة من اللهجات العربية معبرين عنها باللغات.

ولو حصرنا ما تعارف عليه القدماء واصطلح عليه المحدثون من مفهوم اللهجة لوجدنا أنها تعني عادات كلامية لجمع من الناس وغالبا ما تكون هذه العادات صوتية أوهي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة.

أسباب ظهور اللهجات ومبررات اختلافها:

من المسلم به تاريخيا أن العرب كانوا قبائل متفرقة وأن حياة هذه القبائل كانت تتصف بما يميز أحداها عن الأخرى, مما أدى إلى ظهور اللهجات العربية, ناهيك عن التطور المستقل للهجة كل قبيلة, حيث ينتهي كل تطور إلى تمايز لهجي واضح ناهيك عن أن تفشي الخطأ وانتشاره على الألسن يقود إلى تحوله مع الزمن إلى لهجة خاصة[2].

ومن خلال الإطلاع على نماذج من العادات الكلامية عند القبائل كالكشكشة في ربيعة ومضر, والعجعجة في لغة قضاعة، والاستنطاء, والتلتلة, والشنشنة, والطمطمانية, وغيرها[3], نجد أن مرد ذلك عائد إلى اختلاف البيئات العربية وعوامل الاجتماع عندها وتطاول الأزمان عليها.

---

[1] ابن فارس، أبو الحسن أحمد، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص48.
[2] أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**، ص38 ــ 39.
[3] سيرد تفصيل ذلك لاحقا.

وقد يكون الاختلاف من باب التسهيل كما هي الحال في نطق الهمــزة, أو مـــن بـــاب الاختلاف في بنية الكلام, كمدين ومديون, ومبيع و مبيوع, وقد يكون الاختلاف مـــن جـــهـــة المعاني, فكلمة (وثب) تعني عند حمير (جلس), وعند عرب الشمال بمعنى قفز[1].

وهناك إلى جانب الاختلاف الصوتي عوامل أخرى كان لها أثر جليل في تمسك القبائـــل بلهجاتها وعدم سعيها إلى التخلص من تلك الظواهر اللهجية ولعل أبرز تلك العوامل ما ورد من مفردات وآيات قرآنية توافق هذه اللهجة أو تلك, ناهيك عن تواتر قراءات قرآنية جاءت موافقـــة لها لهجات متنوعة, كما كان لبعض أحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دور فـــي تكريس بعض اللهجات, كطمطمانية حمير, على نحو ما نجده في الحديث الصحيح عندما ســـأل أحدهم النبي صلى الله عليه وسلم:" هل من أمبر أمصيام في أمسفر؛ فقـــال:" لـــيس مـــن أمبـــر أمصيام في أمسفر " حيث استعمل (أم) للتعريف مكان (أل).

لم يقتصر الأمر على القرآن الكريم و الحديث الشريف, فقد لعب النحاة دورا مهما فـــي ذلك من خلال استشهادهم بلهجات بعض القبائل, مما أسهم في شيوع تلك اللهجات, واستمرارها على قيد الحياة والتواصل, يضاف إلى ذلك ما ورد في المعاجم المختلفة من المظـــاهر اللهجيـــة المتعددة.

لكن على الرغم مما حظيت به بعض اللهجات العربية من مبررات الظهور أو البقاء فإن اللغويين القدامى علقوا على كثير منها تحت عناوين أبرزها "الرديء المذموم من اللغـــات " أو " باب اللغات المذمومة" كما فعل ابن فارس[2] والإمام السيوطي[3], وغيرهم, وقد أشـــار صـــبحي الصالح[4] إلى بعض المذموم من لهجات العرب, كالكشكشة, وهي في ربيعة ومضر, إذ يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا, فيقولون: رأيتكش, وبكش, وعليكش, ومن ذلك أيضا الفحفحة

---

[1] حامد, هلال عبد الغفار، **اللهجات العربية نشأة وتطورا**، ص27.

[2] ابن فارس، أبو الحسن أحمد، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، ص53.

[3] السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر**,ج1, ص175.

[4] الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة**، ص67.

في لغة هذيل, يجعلون الحاء عينا. ومن ذلك ـــ أيضا ـــ الطمطمانية في لغة حمير, كقولهم: طاب امهواء؛ أي طاب الهواء.

ومن ذلك العجعجة في لغة قضاعة, يجعلون الياء المشددة جيما, يقولون في تميمي: تميمج.

ومن ذلك شنشنة اليمن, تجعل الكاف شينا مطلقا كلبيش اللهم لبيش, أي لبيك, والخلخانية لأعراب الشحر وعُمان, كقولهم: مشا الله كان, أي ما شاء الله كان وعنعنة تميم, تقول في موضع أن: عن.

أنشد ذو الرمة:

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرقاءَ مَنْزِلَةً ماءُ الصَّبَابَةِ من عيْنَيْكَ مَسْجومُ.[1] (بسيط)

كما تناول رمضان عبد التواب[2] المسألة تحت عنوان ألقاب اللهجات, وقد أوردها مرتبة ترتيبا أبجديا, وهي:

1. الاستنطاء: وقد روي هذا اللقب عن لهجة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأذة كما روي أنه لغة اليمن. وهو عبارة عن جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء, كقولهم أنطى بدل من أعطى. ومن شواهده في القرآن قوله تعالى: في سورة الكوثر "**إنا أنطيناك الكوثر**" وهي قراءة الحسن وطلحة بن مصرف.

2. التلتلة: هذه الظاهرة عبارة عن كسر حرف المضارعة: فيقال: أنا إعلم, ونحن نِعلم, وأنت تِعلم, وما إلى ذلك, وهي لقب لقبيلة بهراء.

3. الشنشنة: هي جعل الكاف شينا مطلقة, كقول أهل اليمن "لبيش اللهم لبيش".

---

[1] **شرح ديوان ذي الرمة**, ص80. ومسجوم: منصبّ.

[2] عبد التواب، رمضان، **فصول في فقه اللغة العربية**، ص98 وما يليها.

4. الطمطمانية: هي إبدال لام التعريف ميما, وسمع الأخفش من يقول: "قام أمرجل, يريد الرجل.

5. العجرفية: ورد هذا اللقب في كلام ثعلب دون أن يفسره أو يشرح المرادفة.

6. العجعجة: والعجعجة في قضاعة كالعنعنة في تميم, يحولون الياء جيما.

7. العنعنة: يعزى هذا اللقب إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم, حيث يجعلون همزة أن إذا كانت مفتوحة عينا, يقولون: أشهد عنّك رسول الله.

8. الغمغمة: ينسب هذا اللقب إلى قضاعة, وملخص ما قاله اللغويون فيه أنه صــوت لا يفهم تقطيع حروفه.

9. الفحفحة: ينسب هذا اللقب إلى قبيلة هذيل, وهم يقلبون الحاء عينا وقد قرئ بــه فــي القرآن الكريم في قوله تعالى: "حتى حين".

10. القطعة: هذا اللقب يعزى إلى قبيلة طيء, وهو قطع اللفظ قبل تمامه, كقولهم: يا أبــا الحكا, يريدون يا أبا الحكم.

11. الكسكسة: يعزى هذا اللقب إلى قبيلة بكر, وهي إبدال كاف المخاطبة سينا.

12. الكشكشة: يعزى هذا اللقب إلى ربيعة ومضر وغيرهم, وهي إبدال كاف المؤنثة في الوقف شينا, أو إلحاقها شينا.

اللغة المشتركة:

لعل من المسلّم به واستنادا إلى ما تقدم من حديث عن اللهجات العربية, القول أن الأمة العربية كانت منقسمة إلى قبائل شتى , وكل قبيلة تتمتع بميزات لغوية معينة, لكن هذا التشتت القبلي والتمايز اللغوي المنتشر آنذاك لم يحل أبدا دون التواصل و الاحتكاك بين تلك القبائل, فقد كان للعرب أسواق عامة يبدأون التنقل إليها منذ أوائل سنتهم , ففي رمضان يجتمعون في سوق صنعاء , وفي شوال يجتمعون في سوق عكاظ, وفي أواخر ذي القعدة يلتقون في المجنة, وفي ذي الحجة يلتقون بذي مجاز بجانب عرفة, وبعد الحج فهناك سوق خيبر. وكانت هذه الأسواق تشهد حضورا كبيرا للأمراء من كل قبيلة, وفيها وعلى مسامع حاضريها يلقي الشعراء و الخطباء ما جادت به قرائحهم من شعر أو نثر, حيث المحكمون من أهل الرأي، وأي شاعر أو خطيب يحكم له بالفوز ويستحسن نتاجه فإن سمعته سرعان ما تجوب الآفاق.

وانطلاقا من هذا فإن الأدباء وحرصا منهم على نيل مرضاة السامعين وثنائهم، كانوا اشدّ الناس تحاشيا وتجنبا لخواص لهجاتهم القبلية، أملا في استرضاء الجميع، وهربًا من الوقوع في فخ النقد الناجم عن استخدام ما عيب من اللهجات الخاصة.

ليس غريبا إذن الادعاء بأن تلك الأسواق الأدبية هي الرحم الذي وفّر جميع الظروف لجنين اللغة الأدبية أن يتشكل نطفة فمضغة، وإن التنافس بين الأدباء، والسعي الدؤوب نحو التمايز والانتشار هو الذي جعل الروح تدب في ذاك الجنين، وهيأ لولادته وانتشاره.

ثم جاء القرآن الكريم محافظا على تلك الوحدة اللغوية، ناقلا بذلك اللغة الأدبية من حدود الأسواق إلى كل بيت وإلى كل فرد على وجه الجزيرة العربية، وحيثما نُطِقَ بالعربية, وبذا استوت اللغة المشتركة على سوقها، وارتبطت منذ ذلك الحين بالقرآن الكريم، فاجتهد النحاة واللغويون في دراستها، وتحديد معالمها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ومن الملاحظ أن أم القرى كان لها النصيب الأكبر في تلك الأسواق الأدبية التي شهدت ولادة اللغة المشتركة، كما أن نزول القرآن الكريم على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في مكة أولا، ساهم في الخلط بين لهجة قريش واللغة المشتركة ومن ثم شهدت كتابات القدماء والمحدثين سجالات حول التماس أو التباين بين لهجة قريش واللغة المشتركة، لكن هذا البحث لن يساهم في هذا السجال إلا بخلاصة ما تم التوصل إليه و استنتاجه بعد استقراء تلك السجالات والآراء, إنه وبالرغم مما تهيأ لقريش من ظروف دينية واقتصادية وسياسية فإن قريش لم يعد أمامها مجال للتفرد اللهجي ما دامت اللغة المشتركة هي القاسم المشترك لكل الوافدين إلى ربوعها، ولذلك نراها قد اصطفت ما استحسن من لهجات ليكون لغة أدبية مشتركة تجمع القبائل كافة.

لقد لعب الشعر الجاهلي دورا مميزا وكبيرا في توحد اللهجات العربية والمستوى الأدبي، وقد تعزّزت تلك الوحدة بعد نزول القرآن، ولم تعد مجرد لغة موسمية، أو نمط لغوي مرتبط بمكان دون آخر، كما أنها انتقلت وبفعل القرآن الكريم من كونها لغة الخاصة والشريحة المثقفة إلى لغة الناس لمجرد كونهم عربا.

برغم هذه النقلة المهمة في تعميم اللغة المشتركة على ألسن العرب جميعا فإن الحضور اللهجي لكل قبيلة ظل متواصلا، لاسيما داخل القبيلة الواحدة "أما حين يعود (العربي) إلى موطنه فإنه يعود إلى ما جرى به لسانه من تقاليد لهجته المحلية، يتعامل بها مع مواطنيه، جدّا وهزلا "[1]. "وظلت مع هذا كل قبيلة تتمسك بلهجة كلامها في الخطاب العادي بين أفراد القبيلة بعضهم مع بعض"[2].

وهكذا ظلت اللهجات المتعددة في دائرة التداول الشعبي إن جاز التعبير حتى غدا عندنا ما يسمى باللغة الفصيحة، واللغة العامية.

---

[1] **في علم اللغة العام**، ص224.

[2] **في اللهجات العربية**، ص40.

خصائص اللغة العربية المشتركة:

امتازت اللغة العربية المشتركة بميزات كانت ولا تزال ظاهرة للعيان، وإن أبرز تلك الخصائص والميزات ما يلي:

1. البعد عن مظاهر اللحن والفساد.

2. تعدّ خلاصة ما فصح من اللهجات وما سلم من تعابيرها.

3. ارتفاعها فوق مستوى العامة.

4. لا تنتمي صفاتها أو عناصرها إلى بيئة محلية بعينها، فهي لغة منسجمة موحدّة.

5. أنها لغة الآثار الأدبية.

لغة الشعر:

انطلاقا من مفهوم اللغة الأدبية يتكون لدينا تصور واضح عن طبيعة اللغة الشعرية بسماتها وخصائصها المتعددة. فقد حرص الشعراء لاسيّما في العصر الجاهلي على التجرد من الخصائص اللهجية والارتقاء بمستوى شعرهم إلى محاسن اللغة الأدبية، لكن هذا الأمر لم يحل أبدا دون النظم من قبل الشعراء لكثير من الشعر الذي تخالطه اللهجة الخاصة، وذلك إما استرضاء للقبيلة أو مظهرا من مظاهر الاعتزاز والإصرار على التمايز اللهجي.

وإذا كان "الشعر لغة القلوب، ومرآة النفوس، يعبر عن الخلجات الغامضة ويكشف عن الاحساسات الدفينة"[1] فمما لا شك فيه أنه يحتاج إلى لغة تخاطب الوجدان والعاطفة، وتستلهم الوحي والخيال، وتنفذ إلى أعمق شيء في الإنسان، إنها تحتاج إلى لفظ رشيق، وتصوير دقيق، وتشبيه بديع، ونغم حلو، ولهذا كان ارتباط اللغة الشعرية بالموسيقا ارتباطا جدليا لا فكاك منه.

---

[1] مدكور، إبراهيم بيومي، **في اللغة والأدب**، ص123.

وما دامت اللغة عنصرا من عناصر الشعر المهمة، فلا بد للشاعر أن يسلك فيه مسلكا خاصا، ليستطيع فيها تأدية المعاني بطريقة تختلف عن تأدية اللغة في فنون القول الأخرى. ولهذا كان لزاما على الشاعر أن يتحرى الجميل المناسب، والأنيق الحسن. وما أثر عن زهير ابن أبي سلمى و حديث "الحوليات" معروف ومشهور.

لم تكن اللغة الشعرية لغة ناضجة منذ بدايتها، إذ مرّت بمراحل البدء والنضوج التي مرّ بها الشعر، لذلك نجد أن اللغة الشعرية قد خضعت لمعايير نقدية لم تحظ بإجماع النقاد، إذ أعيبت اللغة الشعرية من ناحية عدم المشاكلة أي عدم الجمع بين الشيء وما يلائمه من نوعه من أي وجه من الوجوه، ومنها التباين بين جزالة البدو ورقّة الحضر في المعنى الواحد، كما عيبت على اللغة الشعرية لاسيما لغة الشعر الجاهلي والعصور القريبة منه بالغلو والمبالغة واستعمالها للهابط من المفردات، علاوة على اشتمالها على الفصيح والأفصح والرديء والمستكره، والرقة والخشونة، وما إلى ذلك.

ولو عدنا إلى الآراء النقدية للقدماء لتعرفنا إلى بعض آرائهم في اللغة الشعرية، فمن صور النقد ما تناول اللفظ والصياغة، الأمر الذي يدل على عدم تمكن الشاعر من دلالات الألفاظ. ومن ذلك ما يروى أن طرفة بن العبد سمع المسيب بن علي يقول:

وقَدْ أتناسى الهَمَّ عنْدَ احْتِضارِهِ بناجٍ عَليه **الصيعريةُ** مُكْدَمِ[1] (طويل)

فقال له طرفة: استنوق الجمل، أي أنت كنت في صفة الجمل، فلما قلت "الصيعريّة" عدت إلى ما توصف به النوق، لأن الصيعرية سمة حمراء تعلّق في عنق الناقة خاصة[2].

وهذا النقد للمسيب جاءه من ناحية اللغة إذ أنه لم يحسن معرفة معاني الألفاظ مما أوقعه في هذا الخطأ.

---

(1) **اللسان**, (ص ع ر).

(2) عتيق، عبد العزيز، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ص21.

إن أية عملية استقرائية للغة الشعرية عبر العصور العديدة تشير بوضوح إلى العديد من السمات والخصائص التي امتازت بها اللغة الشعرية، فمن تلك السمات في اللغة الشعرية بلاغة الألفاظ وجزالتها، حيث "أن البلاغة فطرية في عرب البادية شعرا ونثرا"[1] لكن هـذه البلاغـة والجزالة لم تحل دون بروز أنماط لغوية فيها من الجفاء والإغراب والخشونة، تختلف باختلاف الغرض، فشعر العاشق أرّق من شعر الفارس، وشعر الحضارة ألطف من شعر البداوة.

واللغة الشعرية كذلك لغة ممزوجة بالعاطفة، وللخيال حضور وسيطرة واضحة على اللغة الشعرية. كما أنها لغة تجنح للتلميح دون التصريح، ولهذا يكثر أسلوب الكناية وأساليب الاستعارات المختلفة.

ويشترط في اللغة الشعرية حتى تكون لغة أنيقة، ورقيقة عذبة أن تبتعد عن التعقيد وسوء البناء، ولهذا عيب الفرزدق لقوله:

مُبارَكُ الاسْـــمِ أعــزُّ اللقبْ   كريمُ **الجرشيّ** شَريفِ النَّسَبْ[2] (سريع)

فلفظ الجرشّي مما لا تحتمله لغة الشعر الرقيقة العذبة.

كما عيب المتنبي على حديث القلقلة الذي لا تسيغه الأذن الموسيقية التي تتطلب من الشعر لغة عذبة مأنوسة، وذلك في قوله:

وقَلْقَلْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا   قَلاقــلُ همٍّ كــلّهنّ قَلاقِـــلُ[3] (طويل)

تلعب اللغة الشعرية دورا مميزا في التوسع في المجازات والاستعارات، فقد اكتسبت اللغة الشعرية ــ لاسيما عند المحدثين ــ طرافة وجدّة، ودلالات بديلة لألفاظ قديمة، حيث باستطاعة الشاعر أن يطور اللغة على يديه ويمدها بمعان لم تكن لها من قبل، ولعل ما أوجزته

---

(1) زيدان، جورجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ص81. كريم الجرشي: كريم النفس.
(2) **الديوان**, ج1, ص99.
(3) **الديوان**, ج3, ص175.

نازك الملائكة بقولها: "إن شاعرا واحدا قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوي ولغوي مجتمعين"[1] لدليل صدق على ما نقول.

لقد تناول اللغويون والنحاة اللغة المشتركة بالنقد والتحليل، ونستطيع أن نتبين منهجهم النقدي، ونحدده في النقاط الآتية[2]:

1. العناية باللغة من حيث سلامة التراكيب والأساليب، والسليم منها عندهم ما طابق قواعدهم وأقيستهم النحوية.
2. نقد الألفاظ، ويتمثل ذلك في بحث بنية الألفاظ من حيث ما ينقاس ولا ينقاس منها، كما يتمثل في تحديد مدلولاتها.
3. إحصاء أخطاء الشعراء في وجوه الإعراب والاشتقاق.
4. التنبيه إلى ما يقع فيه الشعراء من إخلال في الوزن والقافية، وإلى ما يلجئون إليه من ضرورات شعرية.

ومن القضايا التي برزت في اللغة الشعرية وعرض لها القدماء ومنهم الجاحظ مسألة فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام، فالجاحظ يشترط في فصاحة الكلمة سلامتها من تنافر الحروف، وأن تكون مألوفة غير غريبة. ولهذا نجد الجاحظ يعلق على بيت الشعر:

وقَبْرِ حَـرْبٍ بمكـانٍ قَفْرٍ   وليسَ قُرْبَ قَبْـرِ حَـرْبٍ قَبْـرُ(رجز)

بأن ألفاظه تتنافر، وأن المنشد لا يستطيع إنشاد هذا البيت إلا ببعض الاستكراه. وحين يأتي على قول ابن سيرين:

لمْ يَضُرُها والحَمْدُ للهِ شيءٌ   **وانْثَنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسي ذهولُ**(خفيف)

[1] السامرائي، إبراهيم، **لغة الشعر بين جيلين**، ص20.
[2] عتيق، عبد العزيز، **تاريخ النقد الأدبي**، ص320.

فانه يعلق عليه بقوله: "تفقد النصف الأخير من هذا البيت، فانك ستجد بعض أبياته يتبرأ من بعض"[1].

وحيث تدبر ابن قتيبة الشعر وجده أربعة أضرب، قسمها تقسيمات تدور جميعها حول اللفظ والمعنى، وهي أمور ــ لا شك ــ تنبع من اللغة الشعرية. وهذه الأضرب[2] هي:

1. ضرب حسن لفظه، وجاد معناه. كقول أبي ذؤيب الهذلي:

والنَّفْسُ راغِبَــةٌ إذا رَغّبْتَهــا وإذا تُــرَدّ إلــى قليــلٍ تقنــعُ[3] (كامل)

2. ضرب حسن لفظه لكنه يخلو من أي فائدة في المعنى.

3. ضرب جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتَبَ المَرْءِ الكَريم كَنفسِــهِ والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَليسُ الصّالِحُ[4] (كامل)

4. ضرب تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى:

وقَدْ غدوْتُ إلى الحانوتِ يتْبَعُني شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شلْشلٌ شَــوِلُ[5] (بسيط)

خلاصة القول أن اللغة الشعرية رغم تألقها وسلاستها ووصفها بأنها لغة أخّاذة وساحرة، وأنها لغة الجزالة والفصاحة، وأنها لغة العاطفة الصادقة التي يُتعلق بها ويُطرب لها، وأنها اللغة التي أكسبت الألفاظ دلالات جديدة، وتوسعت في المجازات والاستعارات، برغم هذا وغيــره إلا أنّ اللغة الشعرية لم تسلم من النقد والتعليق.

---

(1) **البيان والتبيين**, ج1 ص37.

(2) ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، 24 وما يليها.

(3) **المفضليات**, ص422.

(4) **جواهر الأدب**, ص258.

(5) **الديوان**, ص133.

لغة القرآن الكريم:

لعلّ من يستعرض آراء القدماء والمحدثين التي تناولت اللغة التي نزل بها القرآن، سيجد أنها تضمنت آراء ثلاثة، فطائفة تقول أن القرآن قد نزل بلغة قريش، وأخرى تقول أن اللغة التي نزل بها القرآن هي اللغة الأدبية، وطائفة تقول أن القرآن نزل بلغات العرب جميعها. وبعيدا عن الخوض في تلك الآراء إلا أنها آراء تصب في حقيقة لا مناص منها وهي أن اللغة التي نزل بها القرآن هي لغة عربية، ويؤكد ذلك عدد كبير من الآيات ذات الدلالة القطعية، والتي تم سـردها في الفصل الأول من البحث، ولا بأس في سرد بعضها ثانية:

يقول تعالى: "إنّا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"(1).

يقول تعالى: "وكذلك أنزلناه حكما عربيا"(2).

وقوله: "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين"(3).

وقوله: "وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا"(4).

وقوله: "وانّه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين "(5).

وقوله: "قرآناً عربيا غير ذي عوج لعلّهم يتقون"(6).

وقوله: "كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون"(7).

---

(1) سورة يوسف: آية/ 2.
(2) سورة الرعد: آية/ 37.
(3) سورة النحل: آية/ 103.
(4) سورة طه: آية/ 113.
(5) سورة الشعراء: آية/ 192-195.
(6) سورة الزمر: آية/ 28.
(7) سورة فصّلت: آية/ 3.

وقوله: "وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيا"(1).

وقوله: "إنّا جعلناه قرآناً عربيا لعلكم تعقلون"(2).

وعندما نقول إن اللغة التي نزل بها القرآن هي لغة العرب بسماتها وخصائصها وأساليبها، إلا أن ثمة فوارق بين لغة الشعر ولغة القرآن، ولكنها لا تردّ إلى اختلافات في أصل اللغة، بل هي لغة واحدة، لكن الاختلاف نابع من ناحية الاستخدام والتركيب، والسياق والدلالة، والتوظيف،.... ومن هنا يكمن مظهر مهم من مظاهر الإعجاز في القرآن، ومن هنا ــ أيضا ــ نفهم مدلولات التحدي ومبرراتها التي مثلها القرآن بلغته وبيانه لأهل ذات الفقه والبيان.

ومن مظاهر تميز لغة القرآن عن لغة الشعر ما يلي:

أولاً: إن مفردات لغة القرآن الكريم وان كانت من جملة مفردات اللغة العربية، إلا أنها تختلف بما تحمله من دلالات لم تكن تفيدها، ولا تدل عليها من ذي قبل.

ثانياً: إذا كانت اللغة الشعرية هي إحدى وسائل التعبير والتخاطب بين أفراد البشر، فإن لغة القرآن الكريم هي وسيلة التخاطب بين الناس وخالقهم، لذلك نجد بعض الاختلاف من حيث الأسلوب، وطريقة التركيب، واختيار الألفاظ.

ثالثاً: تمتاز لغة القرآن بإحكامها البديع، وتأليفها الدقيق، علاوة على ما تمتاز به من سحر البيان، وهذا الأمر ينسحب على اللغة من ألفها إلى يائها. لكن مثل هذه الحقيقة وإن وجدت في بعض الشعر لكنّها تستحيل في كلّه.

رابعاً: لم تكن اللغة الشعرية بمستوى واحد من الفصاحة والبلاغة، بل كان فيها الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، وهذا ما خلت منه لغة القرآن تماما.

---

(1) سورة الشورى: آية/ 7.

(2) سورة الزخرف: آية/ 3.

خامساً: ثمة تباين واضح بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، فقارئ الشعر الجاهلي يصطدم بألفاظ كثيرة غريبة في السمع، ثقيلة على الإذن "وقد بدت عليها منهجية البداوة, ووعوثة الصحراء، وخشونة العيش، لتأثر هؤلاء الشعراء بمظاهر الغلظة والقوة والبادية في طباعهم ونظامهم الاجتماعي"[(1)]. أما قارئ القرآن فلا يجد تلك الوعورة في الألفاظ، ولا الغرابة في أصواتها، ولا الثقل في جرسها، بل إن هناك انسجاما صوتيا واضحا في لغة القرآن وكلماته.

سادساً: من خلال الموازنة بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، نجد أن المصطلحات الإسلامية قد توزعت في ثلاث طوائف رئيسية[(2)] هي:

مصطلحات ثبتت دلالتها في القرآن على ما كانت عليه في الشعر الجاهلي. ومن ذلك مصطلحات: الجنة، الفردوس، الجحيم، الجن، الملائكة، الحج،... الخ.

1. مصطلحات تغيرت دلالتها عما كانت عليه في العصر الجاهلي. فهناك مصطلحات كانت عامة الدلالة جاء القرآن وخصص دلالتها في معنى اصطلاحي خاص، من ذلك: الشريعة، الرسول، والصلاة، والصيام. وهناك مصطلحات كانت خاصة في دلالتها على معنى محدد جاء القرآن وأعطاها دلالة عامة مثل: الكفر، والفسق, والنفاق.
2. مصطلحات أعطاها القرآن دلالة جديدة لم تكن معروفة لها في الشعر الجاهلي مثل:الجزية، والحد، والتعزير، والغسلين، وإبليس، والجبّار، وغيرها.

سابعاً: ثمة ملحوظة مهمّة في السياق اللغوي القرآني، حيث أن القرآن فرّق في المعنى بين الفوز والفلاح، والأجر والثواب، والعذاب والعقاب، والريح والرياح، والغيث والمطر، والنعمة والنعيم، والأنفال والفيء. فقد استعمل القرآن الكريم المطر في حالات العذاب والعقاب في الدنيا، مثلما أصر على استعمال الغيث في معاني الخير والنماء. ومثل ذلك يقال في الريح

---

(1) خفاجي، محمد عبد المنعم، **الشعر الجاهلي**، ص306.

(2) أبو عودة، عودة خليل، **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن**، ص450.

والرياح. وما إلى ذلك. ومثل هذا الأسلوب اللغوي يعد أسلوبا جديدا لم تعرفه لغة الشعر التي لم تفرّق بين دلالة هذه الكلمات التي يبدو أنها مترادفة.

ثامناً: استعمل القرآن الكريم الكلمة في موقعها المحدد الذي لا تغني فيه كلمة غيرها. فما يراد من الكلمة بجرس أصواتها، ومعناها، وموقعها، وارتباطها بغيرها من الكلمات السابقة واللاحقة، لا تحققه كلمة أخرى غيرها. ومثل هذا الاستعمال غير ملتزم به في اللغة الشعرية.

تاسعاً: مرّت اللغة الشعرية بمراحل عديدة، إذ لم تكن لغة ناضجة منذ بدايتها. أما لغة القرآن فجاءت ناضجة ومستوية على سوقها منذ نزول القرآن الكريم.

عاشراً: لقد كانت اللغة الشعرية عرضة للخطأ واللحن، وأمثلة ذلك في الشعر كثيرة منها ما ورد في معلقة النابغة الذبياني، ومنها أيضا مناكفات عبد الله بن إسحاق الحضرمي مع الفرزدق وغيرهما، لكن مثل هذا الخطأ واللحن يستحيل وروده أو وجوده في لغة القرآن, وذلك عائد لكمال الله المنزّه عن الخطأ والنسيان.

الحادي عشر: يقتصر الاستخدام اللغوي في الشعر عادة على ما هو محسوس أو متخيل في هذه الدنيا مما جعله دون الاستخدام اللغوي في القرآن الكريم الذي تناول ما هو معروف، وتحدث عن كثير من الغيبيات، مما وسع من تلك الاستخدامات اللغوية وزاد من فاعليتها.

الثاني عشر: إذا كانت السمة العامة لألفاظ الجاهلية هي الفصاحة لانطباع العرب عليها, إلا أن العديد من الشعراء قد أدخل في شعره بعض الألفاظ الفارسية التي سمعها من الفرس أو غيرهم، مثال ذلك ما قاله الأعشى:

بِكَأْسٍ وإبْريقٍ كَأنّ شَرابَه   إذا صُبّ في **(المُصْحاةِ)** خالَطَ **(بَقّمَا)**[1] (طويل)

---

[1] **الديوان**, ص164.

فالمصحاة هي إناء الشرب، والبقّم هو خشب شجر كبير ساقه أحمر يصبّ به، وهما كلمتان فارسيتان سمعهما الأعشى من الفرس في أسفاره.

أما لغة القرآن الكريم ورغم ما دار من خلاف حول عربية جميع مفرداتها، إلا أنها أصبحت مفردات عربية بالاستعمال، ولا يشعر القارئ أو السامع لهذه اللغة بوجود مفردات غريبة كما هو الحال في المفردات الأعجمية التي شاعت في كثير من أشعار الجاهليين أو غيرهم.

الثالث عشر: إذا كانت اللغة الشعرية في سمة من سماتها أنها لغة ضرورة، إلا أن لغة القرآن لا ضرورة فيها.

الرابع عشر: ملحوظة مهمة وهي أن الصورة البلاغية التي تساهم اللغة القرآنية في إبداعها تتسم بالديمومة مثل قوله تعالى: "**والصبح إذا تنفس**"(1)، بينما الصورة البلاغية في الشعر لا تتسم بالديمومة، بل إن كثيرا منها قد مات ولم تعد صالحة للاستعمال.

الخامس عشر: اللغة الشعرية ليست صافية وخالية على الدوام من التعبيرات الركيكة، بينما تتسم لغة القرآن بالجزالة والتعبير المحكم والرشيق دائما.

السادس عشر: أن نزول القرآن على سبعة أحرف إضافة لما عرف بالقراءات القرآنية وهي أمور على علاقة جدلية مع اللغة القرآنية، ونستطيع اعتبارها سمة من سمات اللغة القرآنية غير موجودة في لغة الشعر.

(1) سورة التكوير: آية/ 18.

الأحرف السبعة:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[1]. زاد مسلم: (قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام"[2].

وروى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلّم ثم لببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. قلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: هكذا أنزلت، ثم قال: " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه"[3].

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أن رجلا قرأ آية من القرآن، فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم ثم أصبتم فلا تماروا"[4].

---

[1] **فتح الباري**، ج10، حديث رقم4991.
[2] **صحيح مسلم**، ج1، 561، حديث رقم 272.
[3] **كتاب فضائل القرآن**، حديث رقم 4992.
[4] **مسند أحمد بن حنبل**، ج5، ص127 ـ 128.

هذه الأحاديث وأخرى غيرها تدور حول فكرة الأحرف السبعة التي أنزل بها القـرآن, ولكن ما المقصود بالأحرف السبعة هذه ؟.

اختلف العلماء في تفسير الأحرف الواردة في الحديث، واحتدم الجدال والنزاع، وكثـر القيل والقال، وفيما يلي أبرز آرائهم:

1. ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بها سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحـد "على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير في معنى مـن المعـاني يـأتي القرآن بألفاظ على قدر هذه اللغات، وإذا لم يكن اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد"[1].

2. إن المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، سبعة أصناف في القرآن. ولكـن أصحاب هذه الأقوال يختلفون في تعيين هذه الأصناف وفي أسـلوب التعبيـر عنهـا اختلافا كبيرا.

3. إن المراد بالأحرف السبعة أوجه من الألفاظ المختلفة في كلمة واحدة ومعنى واحـد، نحو: هلّم، واقبل، وتعال، وعجل، وأسرع، وقصدي، ونحوي. فهذه الألفـاظ السـبعة معناها واحد وهو طلب الإقبال." وهذا القول منسوب لجمهور أهل الفقـه والحـديث منهم ابن جرير الطبري والطحاوي وغيرهما[2].

أن المراد بالأحرف السبعة الاختلاف في أمور سبعة:

أ. اختلاف الأسماء إفرادا أو تذكيرا وفروعها. مثال قولـه تعـالى: "**والذين هـم لأماناتهـم وعهدهـم راعون**". فكلمة أماناتهم قرئت بالجمع والإفراد.

---

(1) الصابوني، محمد علي، **التبيان في علوم القرآن**، ص215.

(2) المصدر السابق، ص215.

ب. الاختلاف في تصريف الأفعال من مضارع و أمر وماض. مثاله قوله تعالى: "**ربنا باعد بين أسفارنا**" قرئ بنصب لفظ (ربنا) على أنه منادى، وبلفظ (باعد) فعل أمر. وقرئ (ربنا بعّد) برفع (رب) على أنه مبتدأ وبلفظ (بعّد) فعلا ماضيا مضعف العين جملته خبر.

ج. الاختلاف بالإبدال، سواء كان إبدال حرف بحرف كقوله تعالى "**وانظر إلى العظام كيف ننشزها**" قرئ بالزاي وبالراء مع فتح النون. وقوله سبحانه "**وطلح منضود**" قرئ (وطلع). أو أبدل لفظ بلفظ كقوله سبحانه "**كالعهن المنفوش**" قرأ ابن مسعود "كالصوف المنفوش".

د. اختلاف بالتقديم والتأخير إما في حرف كقوله تعالى "**أفلم ييأس**" قرئ "**أفلم يأيس**"، وإما في الكلمة كقوله سبحانه وتعالى: "**وجاءت سكرة الموت بالحق**" قرئ "**وجاءت سكرة الحق بالموت**".

ه. اختلاف وجوه الإعراب، كقوله سبحانه "**ما هذا بشراً**" قرأ ابن مسعود بالرفع، وقوله سبحانه: "**ذو العرش المجيد**" برفع المجيد على أنه نعت كلمة ذو. وجرها على أنها صفة العرش.

و. الاختلاف بالزيادة والنقص، كقوله تعالى: "**وما خلق الذكر والأنثى**" قرئ "والذكر والأنثى" بحذف (ما خلق).

ز. اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق والإمالة والإظهار والإدغام. ومنه الإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى: "**هل أتاك حديث موسى**".

وقد قال بهذا الرأي عدد غير قليل من العلماء أمثال أبى الفضل الرازي, وابن قتيبة، والمحقق ابن الجزري، والقاضي ابن الطيب، وغيرهم مع بعض الخلافات اللفظية[1].

لكن ابن منظور ومعه طائفة من العلماء القدماء والمحدثين يرجحون أن المقصود بالأحرف السبعة هي اللغات. "روى الأزهري عن أبي العباس أنّه سأل عن قوله نزل القرآن على سبع أحرف فقال: "ما هي إلا لغات"[2] "والحرف: القراءة التي تقرأ على أوجه، وما جاء في الحديث من قوله عليه السلام: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، أراد بالحرف اللغة. وقال أبو عبيد وأبو العباس: "نزل على سبع لغات من لغات العرب"[3].

وتعليقا على مسألة الأحرف السبعة يقول الصفاقسي: "فذهب معظمهم وصححه البيهقي واختاره الأبرهي وغيره واقتصر عليه في القاموس إلى أنها لغات واختلفوا في تعيينها"[4].

أما مناع القطان وهو من المحدثين فيقول:"ذهب اكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة، سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد"[5].

علما أنه يورد بقية الآراء لكنه كما أسلفنا يرى أن أكثر العلماء يرون المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب.

ولعل ما يرجح هذا الرأي هو أن هذه الأحاديث كانت في المرحلة المدنية وهي المرحلة التي دخلت فيها قبائل من لهجات شتى في الإسلام، ولم تظهر في مكة لأن المسلمين كانوا محدودي العدد ثم هم من بيئة لغوية موحدة.

لقد كان في نزول القرآن على سبعة أحرف حكمة كبيرة، إذ أن في ذلك النزول تيسير للقراءة والحفظ على قوم أميين "إني بعثت إلى أمة أمية، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام

---

(1) انظر, **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ص155.
(2) **لسان العرب**، مج9، ص41.
(3) المصدر السابق، ص41.
(4) الصفاقسي، ولي الله سيدي علي النوري، **غيث النفع في القراءات السبع**، ص5.
(5) القطان, مناع, **مباحث في علوم القرآن**, ص150.

والجارية والرجل الذي لا يقرأ كتابا قط, فقال لي: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"[1].

كما أن لنزول القرآن على سبعة أحرف إعجازا للفطرة اللغوية عند العرب, كما أن فيه إعجازا في معانيه وأحكامه، حيث أن تقلّب الصور اللفظية في بعض الأحرف أو الكلمات يتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائما لكل عصر. ولهذا أصبح الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد يحتجون بقراءات الأحرف السبعة.

القراءات القرآنية:

ما يميز لغة القرآن الكريم عن لغة الشعر هو ما ترتب على نزول القرآن على سبعة أحرف، إضافة إلى قضية القراءات القرآنية والتي تميز بها قارئ عن آخر من أصحاب القراءات الصحيحة المتواترة، وهي قراءات تمس بشكل مباشر اللغة القرآنية.

ليس ثمة علاقة بين الأحرف السبعة وما يراد بالقراءات السبع المشهورة، وإن أوهم التوافق العددي بتلك العلاقة، لأن القراءات مذهب أئمة، وهي باقية إجماعا يقرأ بها الناس.

---

[1] **القرطبي**, ج1, ص36.

أنواع القراءات وحكمها وضوابطها:

ينقل السيوطي[1] عن ابن الجزري أن أنواع القراءات ستة:

الأول: "المتواتر": وهو ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم.

الثاني: "المشهور": هو ما صحّ عن سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثلـه وهكـذا, ووافـق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء أكان في الأئمة السـبعة أم العشـرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين.

الثالث: "الآحاد": ما صح سنده، وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور. وهـذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده.

الرابع: "الشاذ": وهو ما لم يصح سنده، كقراءة ابن السميفع: "فـاليوم ننحيـك ببـدنك" بالحـاء المهملة.

الخامس: "الموضوع": وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل. مثال ذلك القراءات التي جمعهـا محمد بن جعفر الخزاعي.

السادس: "المدرج": هو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبى وقاص "وله أخ أو أخت من أم" بزيادة لفظ (من أم).

أما ضوابط القراءة الصحيحة فيمكن حصرها بالآتي:

1. موافقة القراءة العربية بوجه من الوجوه، سواء كان أفصح أم فصيحا.
2. أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا. والمراد بالموافقة الاحتمالية مـا يكون كقراءة (مالك يوم الدين) فإن لفظة (مالك) كتبت في جميـع المصـاحف بحـذف الألف فتقرأ(ملك) وهي توافق الرسم تحقيقا، وتقرأ (مالك) وهي توافقه احتمالا، وهكذا.

---

[1] **الإتقان في علوم القرآن**, ص75.

3. أن تكون القراءة صحيحة الإسناد.

من فوائد الاختلافات في القراءات الصحيحة:

1. لعل الفائدة الأهم من تعدد القراءات الصحيحة هو التيسير على الأمة الإسلامية كلها، لاسيما الأمة العربية التي كانت تنتسب لقبائل كثيرة، بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات، وطريقة الأداء.

2. بيان حكم من الأحكام، كقوله سبحانه "**وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس**" قرأ سعد بن أبي وقاص" وله أخ أو أخت من أم بزيادة لفظ (من أم) فتبين بها أن المراد بالأخوة في هذا الحكم الأخوة للأم دون الأشقاء ومن كانوا لأب.

3. الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين، كقوله تعالى: "**فاعتزلوا النساء في المحيض، ولا تقربوهنّ حتى يطهرن**" قرئ بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة (يطهرن) ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض. أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة. ومجموع القراءتين يحكم بأمرين:

أحدهما: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض.

وثانيهما: أنها لا يقربها زوجها إلا إذا بالغت في الطهر وذلك بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قرب النساء. وهو مذهب الشافعي ومن وافقه.

4. الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفَين، كقوله تعالى في بيان الوضوء" فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين" قرئ بنصب لفظ (أرجلكم) وبجرها. فالنصب يفيد طلب غسلها، لأن العطف حينئذ يكون على

لفظ (وجوهكم) المنصوب، وهو مغسول. والجر يفيد طلب مسحها، لأن العطف حينئــذ يكون على لفظ (رؤوسكم) المجرور وهو ممسوح.

5. منها دفع توهم ما ليس مرادا، كقوله تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله**" وقرئ " **فامضوا إلى ذكر الله**" فالقراءة الأولى يتوهم منها وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم لان المضي لــيس من مدلوله السرعة.

6. بيان لفظ مبهم على البعض نحو قوله تعالى: "**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**" وقــرئ " **كالصوف المنفوش**" فبينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف.

والخلاصة: أن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضــرب مــن ضــروب البلاغة، يبدأ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز.

إن موضوع القراءات يتطلب التوسع في الحديث عن علاقتها باللهجات وما يترتب على تلك العلاقة، وهذا ما ستعالجه الصفحات القادمة بإذن الله.

الفصل الثالث

النص والتناص في الشعر وفي القرآن الكريم

القراءات القرآنية واللهجات العربية في ظل الشاهد الشعري

قراءة في بُعدي التناص والدلالة

النص والتناص في الشعر, وفي القرآن الكريم:

قبل البدء في تفصيل هذه القضية لابد من ذكر الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضـــوع, والتي تؤكد عربية هذا القرآن وارتباطه ارتباطا جدليا بلغة القوم الذين أنزل إليهم, وما يترتـــب على ذلك من علاقة بلغتهم وفي مقدمتها اللغة الأدبية, لاسيما الشعرية منها. يقول تعـــالى" **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجميّ وهذا لسان عربي مبين**[(1)]".

إن هذا التأكيد المتكرر للآيات القرآنية على عربية هذا الكتاب الكريم يجعل العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم عضوية لازمة, وإن محاولة فهم القرآن بمعزل عن اللغة التي نزل بها هي محاولة منقوصة ويائسة. ومن هنا نفهم جيدا ما يرويه يحيى بن نضلة المديني إذ يقول: "سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العـــرب إلا جعلتـــه نكالا"[(2)]. وقول مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكـــن عالما بلغات العرب"[(3)]. ويورد السيوطي في الإتقان قولا لابن عباس " الشعر ديوان العرب, فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[(4)] وقوله أيضا: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فـــإن الشـــعر ديـــوان العرب"[(5)].

وذكر صاحب الجمهرة أن نافع بن الأزرق قدم إلى ابن عباس يسأله عن القرآن, فقـــال ابن عباس: يا نافع, القرآن كلام الله عز وجل, خاطب به العرب بلفظها, على لســـان أفصـــحها, فمن زعم أن في القرآن غير العربية فقد افترى, قال تعالى: "قرآنا عربيا غير ذي عـــوج" قـــال تعالى: "**بلسان عربي مبين**" وقد علمنا أن اللسان لسان محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ.

---

(1) سورة النحل: آية/103. انظر لمثله الآيات المذكورة، ص62.

(2) الإمام الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص292.

(3) المصدر السابق، ص292.

(4) السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص121.

(5) المصدر السابق، ص121.

وقال تعالى: "**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**"وقد علمنا أن العجم ليسوا قومه, وأن قومه هذا الحي من العرب"[1].

اعتمادا على ما تقدم, واستئناسا بمكانة ابن عباس وعلمه, وبحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ منذ أن أدناه منه وربت على كتفه وقال داعيا: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" وبوصف ابن عمر له بأنه: "أعلم أمة محمد بما نزل على محمد", أقول اعتمادا على ذلك: إن ثمة علاقة جدلية بين النص والتناص في الشعر, وفي القرآن الكريم. وقد يكون هذا التناص لغويا, وذلك عندما يكون الاستخدام اللغوي للمفردة في القرآن يطابق الاستخدام اللغوي للمفردة في الشعر, وقد يكون تناصا أدبيا وذلك عندما يكون الاستخدام السياقي للمفردة في القرآن يطابق الاستخدام السياقي في الشعر.

إن اشتمال القرآن الكريم على بعض المفردات الغريبة دفع كثيرا من العلماء إلى التأليف في غريب القرآن, مما يشير إلى أن شيوع تلك المفردات الغريبة قد أثار انتباه علماء الإسلام فجدوا في النظر في تلك الظاهرة حتى أشبعوها بحثا ودراسة. وفي هذه العجالة التي تبحث عن جدلية العلاقة بين النص والتناص في الشعر وفي القرآن الكريم, سأحاول الاقتراب خلالها من تلك الجدلية التناصية التي تأخذ شكل تناص لغوي وتناص أدبي. لكن لا بد من الإشارة إلى أن البحث عن دلالة المفردة الغريبة في القرآن وسياقها كما ورد في الشعر الجاهلي وما بعده, ليس من باب الاحتجاج على غريب القرآن بالشعر, وليس في ذلك جعلا للشعر أصلا للقرآن, بل هو تبيان الحرف الغريب من القرآن بالشعر, انطلاقا من تلك الآيات التي أوردتها سابقا, والتي تؤكد عربية القرآن.

روي أن ابن عباس قال: "كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر, فقال أحدهما: "أنا فطرتها", يقول: أنا ابتدأتها"[2] ودلالة ذلك أن ثمة مفردات وردت في القرآن الكريم استعصى فهمها على المسلمين, فكان لا بد من اللجوء إلى كلام العرب,

---

[1] القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، **جمهرة أشعار العرب**، ص 15 ــ 16.

[2] القيسي، أبو محمد مكي بن طالب، **العمدة في غريب القرآن**، ص16.

لاسيما الشعر, للبحث عن دلالة تلك المفردات, مما يؤكد وجود ظاهرة التناص اللغوي في العديد من المفردات بين الشعر والقرآن.

غنيّ عن القول أن ابن عباس كان أكثر الصحابة والمفسرين شهرة في توسل الشعر لِتَبَيُّن دلالة العديد من المفردات الغريبة في القرآن. وكتاب غريب القرآن في شعر العرب لابن عباس خير شاهد على ذلك, إضافة إلى ما نقله السيوطي في الإتقان, والزركشي في غريب القرآن, والطبري في تفسيره, وعبد الجليل عبد الرحيم في لغة القرآن الكريم وغيرهم ممن نقل عن ابن عباس منهجه ذلك.

وللتمثيل على هذه التناصية اللغوية نورد الأمثلة الآتية:

* قال تعالى: "**لقد خلقنا الإنسان في كبد**"[1].

إن الاستعمال اللغوي للمفردة "كبد" يعني في اعتدال واستقامة, وكذا وردت في الإتقان, والعمدة في غريب القرآن, وغريب القرآن في شعر العرب, وقد استدل على المعنى ابن عباس[2] وعنه نقل السيوطي[3] بقول لبيد بن ربيعة:

يا عيْنُ هــلا بَكيتِ أرْبَدَ إذْ قُمْنا وقَامَ الخُصومُ في **كَبَـدِ**[4] (منسرح)

* قال تعالى: "**وهذا البلد الأمين**"[5].

البلد الأمين: مكة, يريد الآمن[6], والعرب تقول للآمن: الأمين, وقد استدل الفراء على ذلك بقول الشاعر:

أَلَمْ تعْلَمي يا أسمَ ويْحَكِ إنّني حَلَفْتُ يَمينًا لا أخونُ **أَميني**[7] (طويل)

---

[1] سورة البلد: آية/ 4.
[2] **غريب القرآن في شعر العرب** ـ سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس، ص33.
[3] **الإتقان في علوم القرآن**، ص122.
[4] **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، ص40. وكذلك, **الكامل**, ج2, ص325.
[5] سورة التين: آية/3.
[6] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، ج3، 276.
[7] انظر, **معاني القرآن**, ج3, ص276.

وقد نقله القرطبي عن الفراء ولم ينسبه[1].

* قال تعالى: "**فليدع ناديه**"[2].

لقد استعمل القرآن هذه المفردة (ناديه) بمعنى: المجلس[3], وقد ورد استعمالها اللغوي في الشعر بهذا المعنى كما ورد في معاني القرآن[4], والمفردات في غريب القرآن[5], وغيرها, واستدلوا على ذلك بقول الشاعر[6]:

لَهُمْ **مَجْلِسٌ** صُهْبُ السِّبالِ أذلّةٌ　　　سَواسِيةٌ أحْرارُها وعبيدُها(طويل)

وكذلك قول زهير بن أبي سلمى:

وفيهِمْ مَقاماتٌ حِسانٌ وجوهُهُمْ　　　**وأنْدِيَةٌ** ينْتابُها القوْلُ والفِعْلُ[7](طويل)

* قال تعالى: "**وامرأته حمالة الحطب**"[8].

قال ابن عباس: الحطب: النميمة. يقول ابن قتيبة:" فلان يحطب عليّ إذا أغرى به, شبهوا النميمة بالحطب, والعداوة و الشحناء بالنار, لأنهما يقعان بالنميمة, كما تلتهب النار بالحطب"[9] ويورد على ذلك شعرًا لم ينسبه: قال الشاعر وذكر امرأة:

منَ البِيضِ لمْ تَصْطَدْ على حَبْلِ سَوْأَةٍ　　　ولمْ تَمْشِ بينَ الحَيِّ بالحَطَرِ الرّطْبِ(طويل)

* قال تعالى: "**إنا وجدنا آباءنا على أمة**"[10].

---

(1) **الجامع لاحكام القرآن**، ج20، ص127.
(2) سورة العلق: ص17.
(3) الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، **تفسير البحر المحيط**، ص247.
(4) **معاني القرآن**، ج3، ص279.
(5) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب النون، 487.
(6) نسبه القرطبي لجرير، والصواب أنه لذي الرمة، انظر, **ديوان ذي الرمة**، 231. وورد في اللسان: صهب السبال: أي في شعورهم حمرة.
(7) **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**، ص84.
(8) سورة المسد: آية/ 4.
(9) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **تأويل مشكل القرآن**، 121.
(10) سورة الزخرف: آية/ 23.

الأمة: الدين أو الملة[1]. وقد استشهد ابن قتيبة على ذلك بقول النابغة:

حَلَفْتُ فلَمْ اترُكْ لنَفْسِكَ رِيبَةً   وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذو **أمّةٍ**, وهو طائعُ؟[2] (طويل)

* قال تعالى: "**وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**"[3].

الصلاة: الدعاء

وقد ورد الاستعمال اللغوي لهذه المفردة (الصلاة) بهذا المعنى, وقد استدل ابن قتيبة على ذلك بقول الأعشى وهو يذكر الخمر والخمار:

وقابَلَهـا الرّيحُ فـي دَنِّهـا   **وَصَلَّى** علـى دَنّهـا وارْتَسَمْ[4] (متقارب)

أي دعا لها بالسلامة من الفساد والتغيير[5].

* قال تعالى: "**وقالوا ربنا عجّل لنا قطنا قبل يوم الحساب**"[6].

قال ابن عباس: "القط الجزاء, وهو الحساب أيضا[7] واستدل على ذلك بقول الأعشى:

ولا المَلِكُ النُّعْمانُ يومَ لقيتُهُ   بنِعْمَتِـهِ يُعْطي **القُطُوطَ** ويأْفِقُ[8] (طويل)

إن الأمثلة على التناص اللغوي في الشعر وفي القرآن الكريم, أمثلة يطول الحديث عنها, ولعل ما تم إيراده يفي بالغرض إن شاء الله.

---

(1) انظر, **غريب القرآن في شعر العرب**، ص220. وكذلك **تأويل مشكل القرآن**، ص247.

(2) **الديوان**، ص125.

(3) سورة التوبة: آية/103.

(4) **شرح ديوان الأعشى**، ص198.

(5) **تأويل مشكل القرآن**، ص355.

(6) سورة ص: آية/ 16.

(7) **غريب القرآن في شعر العرب**، ص65.

(8) **شرح ديوان الأعشى**، ص122.

أما فيما يتعلق بتفسير حروف المعاني فثمة تناص أيضا, وفيما يلي أسوق مثالين توضيحيين.

قال تعالى: "**ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق**"[(1)].

إن حرف بل "يأتي لتدارك كلام, أو لترك شيء من الكلام وأخذٍ في غيره, ومثال ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

وحشا سوى أن فُرّاد السباع بها　　　كأنها من تَبَغّى الناس أطلاح

بَلْ هَلْ أُريكَ حَمولَ الحَيِّ غادِيَةً　　　كالنّخْلِ زيَّنَها يَنْعٌ وإفضــاحُ[(2)] (بسيط)

قال تعالى: "**فلا صدّق ولا صلى**"[(3)].

لا: تكون بمعنى لم, وبهذا يصبح تفسير الآية بأنه لم يصدق ولم يصل. ومثل ذلك قول طرفة ابن العبد:

فأيُّ خَميــسٍ **لا أفأْنـا** نِهابَــهُ　　　وأسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ كبْشِه دَمًا[(4)](طويل)

أي لم نفئ نهابه, والنهاب هي الغنائم[(5)].

أما فيما يتعلق بدخول بعض حروف الصفات مكان بعض, فأمثلته في القرآن كما في الشعر كثيرة. قال تعالى: "**فاسأل به خبيرا**"[(6)] به: أي عنه. ومن شواهده في الشعر العربي قول علقمة بن عبدة:

فَإنْ تَسْألوني **بالنِّســاءِ** فإنَّني　　　بَصيرٌ بِأدْواءِ النِّســاءِ طَبيبُ[(7)] (طويل)

---

(1) سورة ص: آية/ 1.
(2) **ديوان الهذليين**، ص45.
(3) سورة القيامة: آية/ 31.
(4) **الديوان**، ص195.
(5) **تأويل مشكل القرآن**، ص417.
(6) سورة الفرقان: آية/ 59.
(7) **الديوان**، ص23. و**النفضليات**, ص392.

قال تعالى: "**عينا يشرب بها المقربون**"[1].

وقال أيضا: "**عينا يشرب بها عباد الله**"[2].

بها: بمعنى منها, أي يشرب منها. وشاهد ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي وذكر السحائب:

شَرِبْنَ **بِماءِ** البَحْرِ ثُمّ تَرَفَّعَتْ   مَتى لُجَجٍ خُضْرٍ لهنّ نئيجُ[3] (طويل)

لم يقتصر التناص في الشعر والقرآن الكريم على الجانب اللغوي, بل هناك تناص أسلوبي تمثل في كثير من الظواهر, كظاهرة الاستعارة, والمقلوب, والحذف والاختصار, وتكرار الكلام والزيادة فيه, والكناية والتعريض, ومخالفة ظاهر اللفظ معناه,... وغيرها من الظواهر, التي سنبدأ بدراستها مستشهدين عليها بالشعر الجاهلي, لنتبين أثر هذا الشعر في فهم معاني أساليب القرآن الكريم.

ظاهرة الاستعارة:

الاستعارة فرع من المجاز اللغوي, تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهه[4]. وتقسم الاستعارة إلى نوعين:

أ. الاستعارة التصريحية, وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به.

ب. الاستعارة المكنية, وهي ما حذف منها المشبه به أو المستعار منه, ورمز له بشيء من لوازمه.

يقول تعالى: "**فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه**"[5].

---

[1] سورة المطففين: آية/ 28.
[2] سورة الإنسان: آية/ 6.
[3] **ديوان الهذليين**، ص52.
[4] **علم البيان**, ص143.
[5] سورة الكهف: آية/ 77.

وقال أيضا: "ولما سكت عن موسى الغضب"[1].

وقوله: "فإذا عزم الأمر"[2].

تلك أمثلة لآيات عديدة اشتملت على الاستعارة, فالجدار يريد, والغضب يسكت, والأمر يعزم, فهل ورد في كلام العرب وأساليبهم مثل ذلك؟ أجل, فها هو جواد عنترة يشكو إليه بعبرة وتحمحم! وذلك إذ يقول:

فازورَّ من وقْعِ القَنا بِلَبانِهِ **وَشَكا** إليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ[3] (كامل)

وفي شعر المثقب العبدي مثل ذلك إذ يقول:

تقولُ إذا دَرَأْتُ لَها وَضينِي أهذا دينُه أبَدًا وَديني
أكلَّ الدَّهْرِ حَلٌّ وارْتِحالٌ أمَا يُبْقي عليَّ ولا يَقيني [4] (وافر)

فظاهرة الاستعارة في القرآن تتناص مع ظاهرة الاستعارة في الشعر, وهذا أمر طبيعي ما دامت تجمع القرآن والشعر لغة واحدة تتسم بظواهر عدة كالاستعارة وغيرها, كما سنرى في الصفحات القادمة.

ومن الاستعارة أيضا قوله تعالى: "**ولا يظلمون فتيلا**"[5]، وقوله: "**ولا يظلمون نقيرا**[6]".

لم يرد الله تعالى أنهم لا يظلمون ذلك بعينه, وإنما أراد أنهم إذا حوسبوا لم يظلموا في الحساب شيئا حتى ولو كان مقدار هذين التافهين, وهما الفتيل والنقير. وشاهد ذلك في الشعر قول النابغة الذبياني:

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلوفِ ويَغْزو **ثُمَّ لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتيلا**[7] (خفيف)

---

[1] سورة الأعراف: أية/ 154.
[2] سورة محمد: آية/ 21.
[3] **الديوان**، ص27.
[4] **شرح ديوان المثقب العبدي**، ص65 ــ 66. درأت: دفعت. الوضين: بمنزلة الحزام للسرج.
[5] سورة النساء: آية/ 49.
[6] سورة النساء: آية/ 124.
[7] **الديوان**، ص135. يرزأ: ينتقص ويأخذ.

ظاهرة الكناية:

الكناية هي: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني, فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة, ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه, ويجعله دليلا عليه[1].

قال تعالى: "يوم يكشف عن ساق"[2].

قال ابن عباس: عن شدة الآخرة[3].

وأصل هذه الاستعارة أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد شمر عن ساقه, فاستعيرت الساق في موضع الشدة, وشاهد ذلك ما أورده الفراء في الجزء الثالث من معاني القرآن, من شعر لجد طرفة يقول فيه:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ ساقِها وبَدا مَنَ الشَّرِّ البَراحُ[4] (مجزوء الكامل)

ظاهرة الحذف والاختصار:

الحذف: هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل, ويعتبر الاختصار سببا للحذف من جهة, وفائدة من فوائده من جهة أخرى[5].

أ) حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

يعتبر حذف المضاف ضرب من الاتساع, ووسيلة من الاختصار, ونوع من أنواع المجاز, قال تعالى: "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا"[6].

---

(1) الجرجاني, عبد القاهر بن عبد الرحمن, **دلائل الإعجاز في علم المعاني**, ص51.
(2) سورة القلم: آية/ 42.
(3) **غريب القرآن في شعر العرب**، ص157.
(4) **معاني القرآن للفراء**، ص177.
(5) **البرهان في علوم القرآن**, ج3, ص177.
(6) سورة البقرة: آية/ 100.

إن المرض الذي في قلوبهم هو مرض الاعتقاد, والشرك بالله, ولما كان مرض القلب معني به مرض ما يعتقدون, استغنى بالخبر عن القلب بذلك. ومن شواهده في شعر عنترة العبسي:

هَلا سَأَلْتِ الخيْلَ يا ابْنَةَ مالِكٍ إنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لا تَعْلَمي[1](كامل)

يريد هلا سألت أصحاب الخيل.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: "**واسأل القرية التي كنا فيها**"[2].

وما دامت القرية لا تجيب, فإن المقصود هو المحذوف "أهل". ومثال ذلك في الشعر قول امرئ القيس:

قِفَا **فَاسْألا الأطْلالَ** عَنْ أُمِّ مالِكٍ وهَلْ تُخْبِرُ الأطْلالُ غيْرَ التَّهالُكِ[3](طويل)

وقد علم أن الأطلال لا تجيب إذا سئلت, وإنما معناه قفا فاسألا أهل الأطلال[4].

ومن أمثلته الأخرى في القرآن, ما قد يقع فاعلا, كالحذف في قوله تعالى: "**وجاء ربك والملك صفا صفا**"[5], أي أمر ربك. أو نائبا عن الفاعل, كقوله تعالى: "**ونُزّل الملائكة تنزيلا**"[6], أي: نزول الملائكة. أو مبتدأ, في الحال, أو في الأصل, كقوله تعالى: "**لكن البر من آمن بالله**"[7], أي: ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله. ويأتي خبرا عن المبتدأ, كما في قول الحطيئة:

وشرُّ المَنَايا مَيّتٌ بينَ أهْلِهِ كَهُلْكِ الفَتى قَدْ أسْلَمَ الحَيَّ حاضِرُه[8](طويل)

---

(1) **الديوان**، ص22.
(2) سورة يوسف: آية/ 82.
(3) لم يرد في الديوان, لكنه ورد في **جمهرة أشعار العرب**, ج1, ص113.
(4) **جمهرة أشعار العرب**، ص16.
(5) سورة الفجر: آية/ 22.
(6) سورة الفرقان: آية/ 25.
(7) سورة البقرة: آية/ 177.
(8) **الديوان**, ص261.

أي: شرُّ المنايا منية ميّت. أو مفعولا مطلقا, كقول الأعشى ميمون:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيْناكَ ليْلَةَ أرْمَدا   وَعُدْتَ كما عادَ السَّليمُ مُسَهَّدا[1] (طويل)

أي: اغتماض ليلة أرمد.

أو مفعولا به, كما في قوله تعالى: " **وأشربوا في قلوبهم العجل** " أي: حب العجل.

ب) أن يأتي الكلام مبنيا على أن له جوابا؛ فيحذف اختصارا لعلم المخاطب به, كقوله تعالى: " ولوأن **قرآنا سيرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كلِّم به الموتى بل لله الأمر جميعا** "[2]، وقوله أيضا: "**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم**" .

ثمة جواب محذوف في الآية الأولى هو: لكان هذا القرآن. وفي الآية الثانية: لعذبكم. وشاهد مثل هذا الحذف في الشعر قول امرئ القيس:

فأقْسَمَ لوْ شيءٌ أتانا رَسولَـهُ   سِواكَ ولكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا[3] (طويل)

أي لرددناه.

جـ) الإضمار لغير مذكور

كقوله تعالى: "**حتى إذا توارت بالحجاب**"[4].

يعني الشمس. ولم يذكرها قبل ذلك.

وقوله: "**ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة**"[5].

يريد: على الأرض

---

(1) **الديوان**, ص79.
(2) سورة الرعد: آية/ 31.
(3) **الديوان**، ص130.
(4) سورة ص: آية/ 32.
(5) سورة فاطر: آية/ 45.

وقوله: "فأثرن به نقعا"[1].

يعني بالوادي.

وقوله: "إن كادت لتبدي به"[2].

أي بموسى أنه ابنها.

وقوله: "والنهار إذا جلاها"[3].

يعني الدنيا أو الأرض

وقوله: "إنا أنزلناه في ليلة القدر"[4].

يعني القرآن إن مثل هذا الإضمار لغير مذكور, هو الاختصار. ومثل هذا الأسلـــــوب موجـــود فـــي الشعر, كقول حاتم الطائي:

أَمَاويّ ما يُغْني الثَّراءُ عَنِ الفَتى **إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاقَ بها الصَّدْرُ**[5](طويل)

وهو يعني النفس, أي حشرجت النفس, وضاق الصدر بالنفس.

د) حذف "لا" من الكلام والمعنى يقتضي إثباتها.

كقوله تعالى: "تالله تفتؤ تذكر يوسف"[6]

أي لا تزال تذكر يوسف. ومثل هذا الحذف في الشعر, كقول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمينَ اللهِ أبْـرَحُ قـاعِدًا ولو ضَرَبوا رأْسـي لديْكِ وأوْصالي[7](طويل)

واستشهد به الفراء أيضا في تفسيره للآية[8].

---

(1) سورة العاديات: آية/ 4.
(2) سورة القصص: آية/ 10.
(3) سورة الشمس: آية/ 6.
(4) سورة القدر: آية/ 1.
(5) **الديوان**، ص83.
(6) سورة يوسف: آية/ 85.
(7) **الديوان**، ص141.
(8) **معاني القرآن**, ج2, ص54.

وقد استشهد الطبري[1] بهذا البيت عند تفسيره لقوله تعالى: "**ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس**"[2].

ظاهرة تكرار الكلام والزيادة فيه:

مثال ذلك: التكرار الوارد في سورة "الكافرون" **وتكرار** "**فبأي آلاء ربكما تكذبان**" الوارد في سورة الرحمن. وقوله تعالى: "**كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون**"[3].

وقوله: "**فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**"[4].

وقوله: "**أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى**"[5].

وقوله: "**وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين**"[6].

إن مثل هذا التكرار ليس غريبا على اللغة العربية وأسلوبها, ومثاله: قول عبيد بن الأبرص: هلا سَألتَ جُموعَ كِنْدَةَ يومَ ولّوْا **أينَ أيْنَا**.

وقوله: نحْمي حَقيقَتَنا وبُعْضُ القومِ يَسْقُطُ **بينَ بيْنا**[7] (مجزوء الكامل المرفل)

ومن أمثلة الزيادة ما جاء منسجما مع أساليب العربية, زيادة " ألا " في الكلام, كقوله تعالى: "**ألا حين يستغشون ثيابهم**"[8].

وقوله: "**ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم**"[9].

---

(1) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج2، ص403.
(2) سورة البقرة: آية/ 224.
(3) سورة التكاثر: آي/ 3 ــ 4.
(4) سورة الانشراح: آية/ 5 ــ 6.
(5) سورة القيامة: آية/ 34 ــ 35.
(6) سورة الانفطار: آية/ 17 ــ 18.
(7) **الديوان**، ص142.
(8) سورة هود: آية/ 5.
(9) سورة هود: آية/ 8.

وهكذا نجد أن "ألا" زيدت في الآيتين للتنبيه. ومثال ذلك في الشعر: قول طرفة بن العبد:

ألا أيّهذا الزّاجِري أحْضرِ الوَغى   وأنْ أشْهَدَ اللذات هل أنت مُخْلِدي؟[1] (طويل)

إن الزيادة والتكرار في القرآن الكريم لا يكون إلا لدواع بلاغية, ويضيف للنص فضاءات دلالية جديدة, والحديث عن الزيادات حديث طويل, فقد كتب فيه كثير, وثار حوله جدل واسع, نحن في غنى عن الخوض فيه ضمن دراستنا هذه.

إن استعراض الظواهر الأسلوبية في القرآن الكريم يحتاج إلى دراسة متخصصة, فإضافة لما ذكر, هناك إيقاع لفظ الجمع على الواحد, والإلتفات, ومخالفة ظاهر اللفظ معناه, وغيرها مما يحتاج إلى دراسة مستقلة كما أسلفت.

إن استدعاء الشاهد الشعري من قبل المفسرين واللغويين لتوضيح غريب القرآن, هو إقرار لمبدأ أن اللغة التي نزل بها القرآن هي لغة العرب, لا سيما الشعر منها. ولهذا لاحظنا أنهمّ المفسرين كان أن يجدوا لما يواجههم من إشكال وغموض في فهم أساليب القرآن نظيرا في لغة العرب وأشعارهم وبخاصة الجاهلية منها. ومن خلال تلك الشواهد الشعرية تمكن المفسرون من الكشف عن معان دقيقة للأساليب القرآنية. والتأكيد على أن الظواهر الأسلوبية في القرآن إنما جاءت على سنن العرب في كلامهم, دون المس بقضية إعجاز القرآن المتسم بحسن التأليف, وبراعة التركيب, وسهولة الكلمة, وجزالتها, وعذوبتها, وسلامتها, وما إلى ذلك من سماتٍ عجز الخَلْقُ عنها.

لقد وقف المفسرون بالشعر الجاهلي عند حد الاستشهاد به على معاني القرآن, إذ يقف الاستعمال اللغوي عند العرب, دون تجاوز إلى ما استحدث في الإسلام من معان ومفاهيم إسلامية لم تكن معروفة للعرب إبان جاهليتهم. فقد كان جل اهتمامهم أن يقيموا من الشعر الجاهلي دليلا وشاهدا على عربية القرآن, وعربية ألفاظه, وعربية أساليبه, وتحديد معانيه. " فهم من الشعر الجاهلي يعرفون مقاصد العرب بمعاني الألفاظ, وترشيح ما يناسب منها تفسيرا للفظ

(1) **الديوان**، ص31.

القرآن الكريم, وإلى الشعر الجاهلي يحتكمون في ترجيح ما يرجحون من تفاسير ومعانٍ مختلفة... وبالشاهد الجاهلي أثبتوا أن "المجاز" في القرآن جريان على سنن العرب في كلامهم, وبالشاهد الجاهلي بينوا أن لا سبيل لإنكاره"[1].

وهكذا فإن شكل التناص بين القرآن والشعر يتجلى بامتصاص التراكيب اللغوية والمفردات والأساليب العربية, وذلك انسجاما مع قضية الدلالة على عربية هذا الكتاب الكريم وجريان أساليبه على سنن العرب وأساليبها في اللغة.

أما فيما يتعلق بتناصية الشعر مع القرآن وتأثره بأسلوبه وتراكيبه واستخدامه لصورة مفرداته وتعبيراته, وأثره في اللغة العربية وحياة العرب, فقد كان بالغ التأثير, إذ حرص الأدباء دوما على تضمين أدبهم شذرات من كتاب الله إما بالنص وإما بالمعنى, لما لهذا التضمين (التناص) من أثر في رقي أدبهم, وعلو شأنه, وسلامة تراكيبه, وارتفاعا به إلى أعلى درجات الجمال والتعبير والجودة[2].

---

[1] الجطلاوي، محمد محمد يوسف، **الشعر الجاهلي وأثره في تفسير معاني القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص416.

[2] انظر على سبيل المثال: **التناص الديني في شعر محمود درويش**، سحر رامي، الشعراء عدد خاص، ص4ـ 5، ربيع وصيف1999. وكذلك **التناص في معارضات البارودي**، ص177 وما يليها، تركي المغيض، مجلة أبحاث اليرموك، (سلسلة الآداب واللغويات)، مج9، ع2، 1412هـ ـ 1991.

القراءات القرآنية واللهجات في ظل الشاهد الشعري:

قراءة في بعدي التناص والدلالة:

ثمة علاقة واضحة بين القراءات القرآنية واللهجات العربية, وتبين مثل هــذه العلاقــة يقتضي استيضاح اللهجات التي تمثلها القرآن الكريم في قراءاته الصحيحة والمتواترة والآحــاد والشاذة أيضا, ذلك أن القول بالاحتجاج فيها أمر قد لاقى استحسانا وقبولا من علماء اللغة.

ويبدو أن بعض الدارسين قد أطلق على القراءات القرآنية اسم اللهجات القرآنية[1], وهو إطلاق قد يوقع في مزالق خطيرة بدءًا من الظن بتطابق التناص بين القراءة واللهجة إلى الحــد الذي يوحي بالتوحد, وانتهاء بتطابق الدلالة التي تحكم النص القرآني أو تحيط به بناء على لهجة معينة من لهجات العرب المعروفة, مما قد يوقع في إشكالية الفهم لطبيعة القــراءة أو قدســيتها, وخاصة أننا ندرك أن القراءة لم تكن نمطا تقليديا للهجة معينة بقدر ما كانت نمطا إبداعيا لكــلام معجز وصف بأنه كلام الله وليس كلام بشر, لكننا ــ هنا ورغم هذا الاحتراس والتخوف ــ نميل إلى قبول مثل هذا الإطلاق على القراءة القرآنية وذلك من باب هيمنة القــراءة علــى اللهجــات العربية وشموليتها واتساعها لتشمل ــ أيضا ــ ما قد يستمد من لهجات أو يطرأ من تطور لغوي جراء تداخل الألسنة وتدافع الحضارات في صورة تعكس خلود النص القرآني واتساع مســاحة أدائه ودلالته, وما صورة الاختلاف في القراءات التي نقلتها لنا المصادر التاريخية والشــرعية سوى نمط يحمل في ثناياه هذه الروح التطورية لهذا النص القرآني الواحد في صــلبه وأصــله, والمتعدد في لفظه ونطقه, في منحنى يكشف أبعاد التيسير والتخفيف سواء في مجال النطــق, أو في مجال الفهم, مما يؤكد مفهوم الصلاحية المطلقة لهذا النص القرآني على اخــتلاف الأزمنــة والأمكنة والألسنة.

---

(1) انظر, محيسن, محمد سالم, **المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية**, ص68.

ولو وصلت إلينا كل القراءات التي كان يقرأ بها أو معظمها "لكان ممكنا أن تقدم لنا مادة لهجية كبيرة تعيننا على تصور اللهجات تصورا أكثر وضوحا"[1], "ذلك أن القراءة القرآنية هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي واللهجي الذي كان سائدا قبل الإسلام, كما أنها ـ أي القراءة ـ تعد آصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية"[2] وهو أمر يؤكد أن ما نعتقده صحيحا, من أن القراءات القرآنية مصدر أصيل لدراسة اللهجات العربية ومعرفتها, وأن الاستدلال بالقراءة على اللهجات أولى وأكثر صوابية من الاستدلال باللهجة على القراءة[3], دون أن يقلل ذلك من قيمة اللهجة وأثرها في توجيه القراءة وفهم دلالتها, ذلك أن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر والحديث أيضا[4].

وأصحاب القراءات لم يكتفوا بمجرد السماع من لفظ الشيخ فقط, كما هي حال أصحاب الحديث, بل اشترطوا ـ أيضا ـ قراءة الطالب على الشيخ[5].

إنه المنهج الذي لا يقف عند حد السماع في النقل, بل يشترط مع السماع التلقي والعرض, وهو ـ باعتراف أهل الخبرة والدراية ـ أصح الطرق في النقل اللغوي. وفوق ذلك فإن القُرّاء كانوا مشهورين بالضبط والدقة والإتقان, كما كانوا على معرفة واسعة بالعربية ووجوهها. فهذا ابن كثير كان ـ بشهادة ابن الجزري ـ[6] اعلم بالعربية من مجاهد, وكان عاصم قد "جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد"[7]. كما كان حمزة "ثقة كبيرا, حجة رضيا, قيما بكتاب الله, مجودا, عارفا بالفرائض والعربية"[8]. وشهرة بقية القراء وعلمهم كأبي عمرو بن العلاء والكسائي ليست خافية على أحد.

---

(1) الراجحي, عبده, **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص88.
(2) المصدر السابق, ص83.
(3) السيوطي, **الاقتراح في علم أصول النحو**, ص17.
(4) الراجحي, عبده, **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص84.
(5) البنا الدمياطي, **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**, ص 3-4.
(6) ابن الجزري, **غاية النهاية في طبقات القراء**, ج1, ص443.
(7) المصدر السابق, ج1, ص346.
(8) ابن الجزري, **النشر في القراءات العشر**, ج1, ص166.

إن ذلك يجعلنا نؤكد أن القراءات القرآنية على اختلافها تصلح دليلا على اللهجات العربية وليس العكس, كما لا يفوتنا هنا أن نؤكد ــ أيضا ــ أن الرسم لم يكن عامل اختلاف القراءة كما يقول بعض المستشرقين أمثال جولدتسيهر[1], وإنما كان عاملا على حفظ الاختلاف الموجود أصلا, فالقراءة سنة متبعة, والقرّاء جميعا قد أجمعوا على الأخذ بالأثبت في الأثر والأصح في النقل وليس الأفشى في اللغة والأقيس في العربية[2].

---

[1] جولد تسيهر, **المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن**, ص4.

[2] ابن الجزري, **النشر في القراءات العشر**, ص 1-11.

التناص والدلالة في اختلاف القراءات واختلاف اللهجات:

نحن أمام اختلاف واضح للقراءات, واختلاف واضح ــ أيضا ــ للهجات العربية, وقد حاول ابن قتيبة تدبر وجوه الخلاف هذه فوجدها سبعة أوجه[1] فصلها على النحو التالي:

1) الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب, ولا يغير معناها, مثل قوله تعالى: "**هؤلاء بناتي هن أطهر لكم**"[2] برفع (أطهر) ونصبها. و "**هل نجازي إلا الكفور**"[3]. و "**هل يجازي إلا الكفور**" و "**يأمرون الناس بالبخل**"[4] بضم الباء وسكون الخاء من (البخل), أو بفتحهما جميعا فيها, و "**نظرة إلى ميسرة**"[5] بفتح السين أو ضمها.

2) الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب, نحو قوله تعالى: "**ربنا باعد بين أسفارنا**"[6] بنصب (رب) على النداء, واعتبار (باعد) فعل أمر, أو رفع (رب)على الابتداء, واعتبار (باعد) فعلا ماضيا, و "**إذ تلقونه بألسنتكم**"[7] بفتح اللام وتشديد القاف, أو كسر اللام وتخفيف القاف, و "**ادكر بعد أمة**"[8]بضم الهمزة وتشديد الميم وبتاء مربوطة في (أمة) أو بفتح الهمزة وفتح الميم مخففة وبهاء في الكلمة نفسها.

3) الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها, نحو قوله تعالى: "**وانظر إلى العظام كيف ننشزها**"[9] بإبدال كلمة (ننشزها) بـ (ننشرها). ونحو قوله تعالى: "**حتى إذا فزع عن قلوبهم**"[10] بإبدال (فزع) بكلمة (فرغ).

---

[1] ابن قتيبة, **تأويل مشكل القرآن**, ص26.
[2] سورة هود: آية/ 78.
[3] سورة سبأ: آية/ 17.
[4] سورة النساء: آية/37, وسورة الحديد: آية/24.
[5] سورة البقرة: آية/ 280.
[6] سورة سبأ: آية/ 19.
[7] سورة النور: آية/ 15.
[8] سورة يوسف: آية/ 45.
[9] سورة البقرة: آية/ 259.
[10] سورة سبأ: آية/ 23.

4) الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها, نحو قوله تعالى: "**وطلع منضود**" في موضع "**وطلح منضود**"[1].

5) الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها, نحو قوله تعالى: "**إن كانت إلا زقية واحدة**" في موضع "**إن كانت إلا صيحة واحدة**"[2]. و "**كالصوف المنفوش**" بدلا من "**كالعهن المنفوش**"[3].

6) الاختلاف في التقديم والتأخير, نحو قوله تعالى: "**وجاءت سكرة الموت بالحق**"[4] و "جاءت سكرة الحق بالموت".

7) الاختلاف بالزيادة والنقصان, نحو قوله تعالى: "**وما عملت أيديهم**" في موضع "**وما عملته أيديهم**"[5], ونحو قوله تعالى: "**إن الله الغني الحميد**" بدلا من: "**إن الله هو الغني الحميد**"[6].

وذكر ابن فارس في اختلاف لغات العرب[7] وجوهاً أوصلها إلى ستة عشر وجها نوجزها على النحو التالي:

1. الاختلاف في الحركات, كقولنا: نَستعين ونِستعين بفتح النون وكسرها. قال الفراء: "هي مفتوحة في لغة قيس وأسد, وغيرهم يقولونها بكسر النون".

2. الاختلاف في إبدال الحروف, نحو: ائتزر واتَّزَر, فيجوز أن تقول: ائتزر فلان واتزر, وذلك لمن يدغم الهمزة بالتاء[8]. كذلك قلب الهمزة عينا كقول الشاعر[9]:

يا دار بين كُلَيّاتٍ وأظْفارِ   والحميَّين سقاك الله من دارِ (بسيط)

---

(1) سورة الواقعة: آية/ 29.
(2) سورة يس: آية/ 29.
(3) سورة القارعة: آية/ 5.
(4) سورة ق: آية/ 19.
(5) سورة يس: آية/ 35.
(6) سورة لقمان: آية/ 26.
(7) ابن فارس, **الصاحبي في فقه اللغة**, ص48-51.
(8) **اللسان**, (أ ز ر).
(9) **الكامل**, ج1, ص48. أوردها ولم ينسبها لقائلها.

علم تقادُم ما قد مرَّ مـــن عُصُـــر   مع الذي مرَّ من ريح وأمطارِ
عَنّا عُنيت بذات الرَّمْثِ من أجلي   والعهد منك قديم منـــذ أعصارِ

أراد: أنّى , فقلب الهمزة عينا.

3. الاختلاف في الهمزة والتليين, نحو: مستهزؤن ومستهزون.
4. الاختلاف في التقديم والتأخير, نحو: صاعقة وصاقعة.
5. الاختلاف في الحذف والإثبات, نحو: استحييت واسحيت, وصددت وأصددت.
6. الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل معتلا, نحو: أما زيدٌ وأيما زيدٌ.
7. الاختلاف في الإمالة والتفخيم, في مثل: قضى ورمى, فبعضهم يفخّم, وبعضٌ يميل.
8. الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله, فمنهم من يكسر الأول ومنهم مـــن يضُـــمّ, فيقولون: اشتروِا الضلالة, واشتروُا الضلالة.
9. الاختلاف في التذكير والتأنيث, فإن من العرب من يقول: هذه البقر, ومنهم من يقـــول: هذا البقر, وهذه النخيل, وهذا النخيل.
10. الاختلاف في الإدغام, نحو: مهتدون, ومهدُّون.
11. الاختلاف في الإعراب, نحو ما زيد قائما, وما زيد قائمٌ, وإن هذين, وإن هذان, وهي بالألف لغة لبني الحارث بن كعب, يقولون في كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك.
12. الاختلاف في صورة الجمع, نحو: أسرى و أسارى. وقيل أسارى جمع جمع.
13. الاختلاف في التحقيق والاختلاس, نحو: يأمرُكم ويأمرْكم, وعُفِي وعفْى له.
14. الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث, مثل: هذه أمه وهذه أمت.

15. الاختلاف في الزيادة, نحو: أنظرُ وانظور. واستشهد الصاحبي بشعر للفراء[1]:

اللهُ يعْلَمُ أنّا في تَلَفُّتِنا يومَ الفراقِ إلى جيرانِنَا صُورُ (بسيط)

وإنني حَيْثُ ما يَثْني الهَوى بَصَري منْ حيْثُ ما سَلَكوا أدْنو **فانظورُ**

16. اختلاف التضاد, وذلك قول حمير للقائم: ثب أي اقعد.

وفصل محمد سالم محيسن وجوه الاختلاف في أربعة أقسام[2]:

الأول: قراءات قرآنية يرجع الاختلاف فيها إلى أصل الاشتقاق.

الثاني: قراءات قرآنية يرجع الاختلاف فيها إلى الجانب الصرفي.

الثالث: قراءات قرآنية يرجع الاختلاف فيها إلى الناحية الصوتية.

الرابع: قراءات قرآنية يرجع الاختلاف فيها إلى المستوى الدلالي.

ثم يسهب في تفصيل ذلك, وضرب الأمثلة من القراءات القرآنية, وما يوافق من لهجات العرب. ومن أمثلة القراءات القرآنية التي ترجع إلى أصل الاشتقاق ما يلي:

- (يعكفون)[3] فقد قرأها (حمزة والكسائي) بكسر الكاف وهي لغة (أسد), وهذان الاثنان يمثلان قراءة الكوفة التي كانت متمشية مع لهجة (أسد) التي نزح بعضهم إليها[4].

أما باقي القراء فقد قرؤوها بضم الكاف وهي لغة بقية العرب. وإذا ما نظرنا إلى هاتين القراءتين نجد أنهما ترجعان إلى أصل الاشتقاق, حيث أن القراءة الأولى من عكف يعكف بفتح الكاف في الماضي وكسرها في المضارع, والقراءة الثانية من عكف يعكف بفتح الكاف في الماضي وضمها في المضارع[5].

---

(1) ابن فارس, **الصاحبي في فقه اللغة**. ص 50.

(2) محيسن, محمد سالم, **المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية**, ص68.

(3) من قوله تعالى: "... فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم", سورة الأعراف, آية/ 138.

(4) انظر, الألوسي, **روح المعاني**, ج9, ص40.

(5) انظر, **القرطبي**, مج4, ص2709.

وعكف يعكِف ويعكُف عكوفا بمعنى يقيم. قال أبو ذؤيب الهذلي يصف الأثافي:

فهـــنّ **عُكـــوفٌ**, كَـــنَوْحِ الكـــريــ ــــمِ, قد شــفّ أكبادَهنّ الهَــوى[1]

- (يعرشون)[2] قرأ (ابن عامر) بضم الراء والباقون بكسرها[3]. وهما لغتان مثل (يعكفون). قال جرير:

أخيْلُكَ أمْ خيْلي بِبَلْقاءَ أحْـــرَزَتْ دَعائمَ **عرشِ** الحَيِّ أنْ يَتَضَعْضَعا[4] (طويل)

- (فيسحتكم)[5] قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بضم الياء وكسر الحاء, وهي لغة كل من (نجد وتميم) وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء, وهي لغة (الحجازيين), وهاتان القراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق, حيث أن القراءة الأولى مضارع (أسحته), والقراءة الثانية مضارع (سحته). ويسحتكم بمعنى يستأصلكم. قال الفرزدق:

وعضّ زمانٌ يا ابن مروانَ لمْ يَدَعْ منِ المالِ إلا **مُسْحَتًا** أو مُجلَّفُ[6](طويل)

(لا تقنطوا)[7] قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بكسر النون وهي لغة أهل الحجاز وأسد. وقرأ الباقون بفتحها, وهي لغة باقي العرب, والقراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق: فالقراءة الأولى مضارع (قنط يقنط) بفتح النون في الماضي وكسرها في المضارع. والقراءة الثانية مضارع (قنط يقنط) بفتح النون في الماضي والمضارع[8]. قال حسان بن ثابت:

من بعد ما **قَنِطُوا** ففــرَّجَ عنهُــمُ تنزيــلُ نصٍّ مليكِنــا الوهّـــابِ[9] (كامل)

---

(1) انظر, **اللسان**, (ع ك ف).
(2) من قوله تعالى: " ومن الشجر ومما يعرشون", سورة النحل: آية/ 68.
(3) **تفسير القرطبي**, مج6, ص3750.
(4) **شرح ديوان جرير**, ص340.
(5) من قوله تعالى: "لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب", سورة طه: آية/ 61.
(6) **اللسان**, (س ح ت). وفي البيت إقواء, إذ رفع (مجلف) وحقها النصب؛ فهي معطوفة على منصوب.
(7) من قوله تعالى: " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمه الله ", سورة الزمر: آية/ 53.
(8) **القرطبي**, مج6, 3652.
(9) **الديوان**, ص16.

(يبشرك)[1] قرأ (حمزة والكسائي) بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة. والباقون بضم الياء, وفتح الباء, وكسر الشين مشددة. وهما لغتان مشهورتان: فالتشـديد لـغـة أهـل الحجاز, والتخفيف لغة (تهامة)[2]. والقراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق: فالتخفيف من البشر. يقال: بشره يبشره بشرا وبشور, والاسم البشارة بكسر الباء وضمها.

والتشديد من التبشير, يقال: بشره يبشره تبشيرا.

والقراءتان بمعنى واحد إذ البشر والتبشير الإخبار بأمر سارّ تتغير عنده بشـرة الوجه وتبسط.

قال الشاعر:

بَشَرْتُ عيالي إذ رأيتُ صحيفةً أَتَتكَ منَ الحَجَّاجِ يُتْلى كِتابُها[3] (طويل)

ومنه أيضا قول جرير بن عطية:

يا بِشْرُ حقّ **لبِشْرِكَ التَّبْشِـيرُ** هلا غَضبتَ لَنا وأنْتَ أميـرُ[4] (كامل)

- (يميز)[5] قرأ (حمزة والكسائي ويعقوب وخلف) بضم الياء, وفتح المـيم وكسـر اليـاء مشددة والباقون بفتح الياء وكسر الميم, وإسكان الياء, وهما لغتان ترجعان إلـى أصـل الاشتقاق, فالقراءة الأولى من التمييز, يقال (ميز يميز) بتضعيف الياء, والقراءة الثانيـة من الميز, يقال (ماز يميز) بتخفيف الياء[6]. ومنه قول حسان بن ثابت:

يَميزُ مَكْـفَأَهُ عنـه ويعزلـهُ كما **تَميزُ** خبيثَ الفضةِ النارُ[7] (بسيط)

---

(1) من قوله تعالى: " أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله ", سورة آل عمران: آية/ 39.
(2) **القرطبي**, مج3, 1317.
(3) **جامع البيان في تفسير القرآن**, ج3, ص 171. **الديوان**, ص301.
(4) **نسبه القرطبي في الحاشية**, مج3, إلى عطية بن زيد. واستشهد به الطبري في تفسيره ولم ينسبه. وكذلك فعل الفراء1317.
(5) من قوله تعالى: "حتى يميز الخبيث من الطيب" سورة آل عمران: آية/ 179.
(6) **القرطبي**, مج3, ص1531. وكذلك **روح المعاني**, ج4, ص137.
(7) **الموسوعة الشعرية**, قرص ليزر مضغوط.

وقول المتنبي:

وهـــاجي نَفْسِــه منْ لمْ **يميز** كلامي من كلامهم الهُراء[1] (وافر)

وقوله أيضًا:

وزادَ في الحَــذْرِ عَلى العَقاعِقْ **يُميِّز** الهَــزْلَ منَ الحَقائق[2] (مخلع البسيط)

- (فمكث)[3] قرأ عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها[4], وهما لغتان: الأولى مــن (فعــل) بفتح العين, والثانية من (فعل) بضم العين. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

مكَثَ الرسولُ لَديْكمُ حَتــى إذا قَدِمَ الرّسولُ وليْتَه لم يَقْدَمِ[5] (كامل)

- (فاعتلوه)[6] قرأ نافع وأبو عمرو بضم التاء, والجمهور بكسرها[7].

الأولى: من (فعل يفعل) نحو (نصر ينصر)

الثانية: من (فعل يفعل) نحو (ضرب يضرب)

والعتل هو الجر بقهر. قال الشاعر يصف فرسا:

نَفْرَعُــهُ فَرْعًــا ولَسْــنا **نَعْتِلُــه**[8] (رجز)

ومنه قول الفرزدق:

ليسَ الكِــرامُ بِناحِلِيــكَ أباهُــمُ حَتى تُرَدّ إلى عَطيّةَ **تُعْتَلُ**[9] (كامل)

---

[1] **الديوان**, ج1, ص11.
[2] **الديوان**, ج1, ص356.
[3] من قوله تعالى: "فمكث غير بعيد" سورة النمل: آية/ 22.
[4] **القرطبي**, مج7, 4892.
[5] **شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة**, ص231.
[6] من قوله تعالى: " فاعتلوه إلى سواء الجحيم", سورة الدخان: آية/ 47.
[7] انظر, **البحر المحيط**, مج8, ص40.
[8] **القرطبي**. ج8, ص100.
[9] **جامع البيان**, ج11, ص80.

(ألتناهم)[1] قرأ (ابن كثير) بكسر اللام, والباقون بفتحها[2].

الأولى: من (ألت يألت) مثل (علم يعلم)

والثانية: من (ألت يألت) مثل (ضرب يضرب)

والألت هو الإنقاص. قال الشاعر:

أبــلغْ بني ثُعَــلٍ مُغَلْغَلَــةً جَهْدَ الرّسالَةِ, لا **ألْتًا** ولا كَذِبــا[3] (كامل)

- (لم يطمثهن)[4] قرأ (الكسائي) بضم الميم, والباقون بكسرها[5].

الأولى: من باب (فعل يفعل) نحو (نصر ينصر).

الثانية: من باب (فعل يفعل) نحو (ضرب يضرب).

قال الفرزدق:

وَقَعْنَ إليّ **لَمْ يُطْمَثْنَ** قَبْلــي وَهُــنَّ أَصَحُّ منْ بيْض النَّعــامِ[6] (وافر)

- (انشزوا)[7] قرأ (نافع وابن عامر وعامر) بضم الشين, والباقون بكسرها[8].

الأولى: من باب (فعل يفعل) مثل (عكف يعكف).

الثانية: من باب (فعل يفعل) نحو (همس يهمس).

---

(1) من قوله تعالى: "وما ألتناهم من عملهم من شيء", سورة الطور: آية/ 21.
(2) **الطبري**, مج9, ص6237.
(3) **اللسان**, (أ ل ت). أورده ولم ينسبه.
(4) من قوله تعالى: " لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان", سورة الرحمن: ءية/ 56.
(5) **القرطبي**, مج9, ص6351.
(6) **القرطبي**, ج17, ص181.
(7) من قوله تعالى: "وإذا قيل انشزوا فانشزوا"، سورة المجادلة: آية/ 11.
(8) **القرطبي**, مج9, ص6469.

انشزوا: أي قوموا, والنشز المرتفع من الأرض. قال الأخطل:

ترى الثّعْلبَ الحوْليّ فيها كَأَنَّهُ　　　إذا ما عَلا **نَشْزًا** حِصـــانٌ مُجَلّلُ[1] (طويل)

الحولي: أي في السنة الأولى من العمر.

- (مسومين)[2] قرأ (ابن كثير وأبو عمرو وعاصم) بكسر الواو, والباقون بفتحها.

فالأولى: اسم فاعل من (سوم) أي معلمين أنفسهم بعمائم صفرٍ أرسلوها بين أكتافهم, أو معلمـــين خيولهم بعلامة يعرفون بها[3].

والثانية: اسم مفعول, والفاعل هو الله سبحانه وتعالى فهو الذي سومهم أي جعل عليهم أو علـــى خيولهم علامة تميزهم على غيرهم من البشر[4].

والسيما العلامة. قال الشاعر:

غلامٌ رماهُ اللهُ بالحسْنِ يافِعًـــا　　　له **سَـــيْماءُ** تَشُقُّ على البَصَـــرِ[5] (طويل)

ومنه قول النابغة في صفة الخيل:

ضُمُرٍ كـــالقِداحِ **مُســـوّماتٍ**　　　عليْهـــا معْشَـــرٌ أشْـــباهُ جِـــنِّ[6] (وافر)

وقول لبيد:

وغَـــداةَ قاعِ القَرْنَتينِ أتيْتُهُمْ　　　رَهْوًا يلوحُ خِلالَهـــا **التَّســـْوِيمُ**[7] (كامل)

---

(1) **شرح ديوان الأخطل التغلبي**, ص266.

(2) من قوله تعالى: "يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين"، سورة آل عمران: آية/ 123.

(3) ابن كثير, **تفسير القرآن العظيم**, ج1, ص402.

(4) **القرطبي**, مج3, ص1438, وكذلك **البحر المحيط**, مج3, ص54.

(5) **جامع البيان**, ج3, ص55.

(6) المصدر السابق, ص136.

(7) المصدر السابق, ص136.

- (نبطش)[1] قرأ (أبو جعفر والحسن بضم الطاء, والجمهور بكسرها[2].

فالأولى: من (بطش يبطش) نحو (نصر ينصر).

والثانية: من (بطش يبطش) نحو (ضرب يضرب).

والبطشة: السطوة والأخذ بالعنف, وباطَشَهُ مُبَاطَشَةً وباطَشَ كَبَطَشَ؛ قال الشاعر:

حُوتًا إذا ما زادُنا جِئْنا بِهِ　　　وقَمْلَةً إنْ نَحْنُ **باطَشْنا** بِهِ[3] (رجز)

دور الشاهد الشعري في توضيح القراءات القرآنية التي يرجع أصل الاختلاف فيها إلى المستوى الصرفي:

لا يقتصر الاختلاف في القراءات القرآنية على أصل الاشتقاق, فثمة قراءات قرآنية يرجع أصل الاختلاف فيها إلى المستوى الصرفي, وفيما يلي استعراض لعدد من القراءات القرآنية, مع شواهد شعرية تعزز أصل الاختلاف وترده إلى مستوى صرفي واضح.

أمثلة توضيحية:

- (قرح ـ القرح)[4] منكرا أو معرفا, قرأ (الأخوان, وأبو بكر, والأعمش) بضم القاف والباقون بفتحها[5]. وقال الأخفش: هما مصدران, يقال قرح يقرح قَرحا وقُرحا بفتح الفاء وضمها[6]. وقال الفراء: وأكثر القراءات على فتح القاف[7].

---

(1) من قوله تعالى: "يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون", سورة الدخان: آية/ 16.

(2) **البحر المحيط**, مج8, 35.

(3) **اللسان**, (ب ط ش), أورده ولم ينسبه.

(4) من قوله تعالى: "إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله", سورة آل عمران: آية/ 140.

(5) **البحر المحيط**, مج3, ص68.

(6) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج2, ص842.

(7) **معاني القرآن**, ج1, ص234.

وقيل القَرْح هي الجراح, والقُرْح: ألم الجراح. والقريح الجريح. قال المتنخل الهذلي:

لا يُسلمون **قَريحًا** حلّ وَسْطَهُمُ   يوم اللقاءِ ولا يُشْؤونَ مَنْ **قَرَحوا**[1] (بسيط)

بمعنى أنهم لا يُسلمون من جُرِحَ منهم لأعدائهم, ولا يخطئون في رمي أعدائهم.

- (الرعب ــ رعب)[2] معرفا ومنكرا, قرأ (ابن عامر والكسائي) بضم العين[3] وهي لغة الحجازيين. وقرأ الباقون بإسكان العين, وهي لغة تميم وأسد وعامة قيس. وهما مصدران بمعنى واحد هو الخوف, وقيل الأصل السكون, وضمت العين إتباعا لضمة الراء[4], مثل (اليسر والعسر) بسكون السين وضمها. قال أبو تمام:

أخافَ فؤادُ الدّهْرِ بَطْشَكَ فانْطَوَتْ   على **رُعُبٍ** أحشاؤه وأجنَّتِ[5] (طويل)

- (كرها)[6] قرأ الكوفيون, بضم الكاف, والباقون بفتحها. قال الأخفش: هما مصدران بمعنى المشقة والإجبار, وهما لغتان مشهورتان, مثل (الضعف والضعف) بفتح الضاد وضمها[7]. والكره بالضم والفتح: المشقة. قال الشاعر:

ليلةَ غمّى طامِسٌ هِلالُها   أوغَلْتُها **ومُكْرَهٌ** إيغالُها[8] (رجز)

- (حصاده)[9] قرأ (أبو عمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب) بفتح الحاء, والباقون بكسرها. وهما لغتان في مصدر (حصد). والحَصاد والحِصاد: أوان الحصْد. قال الشاعر:

إلى مُقْعَدات تَطْرَحُ الريحُ بالضحى   عليهنَّ رَفْضًا من **حَصاد** القُلاقلِ[10] (طويل)

---

[1] **اللسان**, (ق ر ح).
[2] من قوله تعالى: "سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب", سورة آل عمران: آية/ 151.
[3] **القرطبي**, مج3, ص1474.
[4] **البحر المحيط**, مج3, ص83.
[5] **الديوان**, ص58.
[6] من قوله تعالى: "حملته أمه كرها ووضعته كرها", سورة الأحقاف: آية/ 15.
[7] **القرطبي**, مج9, ص6013.
[8] **اللسان**, (ك ر ه), ولم ينسبه.
[9] من قوله تعالى: "وآتوا حقه يوم حصاده", سورة الأنعام: آية/ 141.
[10] **اللسان**, (ح ص د). وأراد بحصاد القُلاقل ما تناثر منه بعد هيجه.

- (وخفية)[1] قرأ (أبو بكر عن عاصم) بكسر الخاء, والباقون بضمها[2]. وهما لغتان مشهورتان في مصدر (خفي) بمعنى مسرين بالدعاء. قال ثعلب:

وهُنَّ الألى يأكلن زادك **خَفْوَةً** وهَمْسًا, ويوطِئْن السُّرى, كُلَّ خابطِ[3] (طويل)

- (الرشد)[4] قرأ (أهل الكوفة غير عاصم) بفتح الراء والشين, والباقون بضم الراء وسكون الشين[5]. وهما لغتان في مصدر (رشد). والرُشْد والرَشَد بمعنى الهداية ونقيض الغي والضلال, قال الأحمر:

لا نَزَل كذا أبدًا ناعمين في **الرَّشَدى**[6] (المقتضب)

(ظعنكم)[7] قرأ (الحرميان وأبو عمرو) بفتح العين, والباقون بسكونها[8]. وهما لغتان في مصدر (ظعن) بمعنى سافر مثل (السمع والسمع) في مصدر (سمع).

والظعن: هو الارتحال من مكان لآخر. قال سيبويه:

الظَّاعِنونَ ولمّا **يَظْعَنوا** أحدًا والقائلون: لمن دارٌ نُخَلِّيها[9] (بسيط)

- (سدّا)[10] قرأ (نافع, وابن عامر, وأبو بكر) بضم السين, والباقون بفتحها[11]. وهما لغتان في مصدر (سدّ) بمعنى واحد[12] أي حاجز. قال حسان:

وأوصد **سَدّاً** من حديدٍ أذابَهُ ومن عين قِطرٍ مفرغًا ليسَ يظْهَرُ[13](طويل)

---

(1) من قوله تعالى: "تدعونه تضرعا وخفية", سورة الأنعام: آية/ 63.
(2) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج2, ص484.
(3) **اللسان**, (خ ف ي).
(4) من قوله تعالى: "وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا", سورة الأعراف: آية/ 146.
(5) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج2, ص734. وكذلك **القرطبي**, مج4, ص2719.
(6) **اللسان**, (ر ش د).
(7) من قوله تعالى: "وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم", سورة النحل: آية/ 80.
(8) **البحر المحيط**, مج5, ص507.
(9) **الموسوعة الشعرية**, قرص ليزر مضغوط.
(10) **اللسان**, (ظ ع ن).
(11) من قوله تعالى: "على أن تجعل بيننا وبينهم سدا", سورة الكهف: آية/ 94.
(12) **البحر المحيط**, مج6, ص155.
(13) **القرطبي**, مج6, ص4098.

• (بملكنا)[1] قرأ (نافع, وعاصم, وعيسى بن عمر) بفتح الميم. (وحمزة, والكسائي, وخلف) بضمها, والباقون بكسرها[2]. وكلها لغات في مصدر (ملك يملك) وهي بمعنى قدرتنا, أو أمرنا. قال بشار:

حتى اسْتَلَمْنا **مُلْكَها** **بِمُلْكِنا** المُسْتَلَبِ[3](مجزوء الرجز)

وقال الشاعر:

أقامت على **مَلْكِ** الطريق **فمَلْكه** لها ولمَنْكوب المطايا جوانِبُهْ[4] (طويل)

• (منسكا)[5] قرأ (الكوفيون إلا عاصم) بكسر السين, والباقون بفتحها. وهما لغتان بمعنى واحد. وهذا الوزن يصلح أن يكون مصدرا ميميا ومعناه النسك. والمراد به هنا الذبح, ويصلح أن يكون اسم مكان, أي مكان النسك, واسم زمان, أي وقت النسك[6]. قال الفرزدق:

فكيف ولم يأتوا بمكة **مَنْسِكًا** وَلَم يَعْبُدوا الأوْثان عِنْدَ المُحَصَّبِ[7] (طويل)

(رأفة)[8] قرأ (ابن كثير) بفتح الهمزة, والباقون بإسكانها[9]. وهما لغتان في مصدر (رأف يرأف). والرأفة هي أرق أنواع الرحمة[10]. قال الشاعر:

فآمنوا بنَبِيٍّ , لا أبا لكمُ ذي خاتَمٍ, صاغَهُ الرّحْمنُ , مختومِ
رَأْفٍ رحيمٍ بأهلِ البرِّ يرحَمهُم مُقَرَّبٍ عند ذي الكُرْسِيِّ مرحومِ[11](البسيط)

---

[1] من قوله تعالى: "قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا", سورة طه: آية/ 87.
[2] **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج4, ص40.
[3] **الديوان**, ج1, ص379.
[4] الفراء, **معاني القرآن**, ج2, ص189. حيث استشهد به ولم ينسبه.
[5] من قوله تعالى: "ولكل أمة جعلنا منسكا", سورة الحج: آية/ 34.
[6] **القرطبي**, مج7, ص4450. وأيضا, **البحر المحيط**, مج6, ص341.
[7] **الديوان**, ج1, ص16.
[8] من قوله تعالى: "ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله", سورة النور: آية/ 2.
[9] **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج4, ص195.
[10] **القرطبي**, مج7, ص4558.
[11] **اللسان**, (ر أ ف), أورده ولم ينسبه.

دور الشاهد الشعري في توضيح المستوى الدلالي:

يعتبر الاتكاء على الشاهد الشعري سببا مهما في فهم اللهجات القرآنية التي يرجع جانب منها إلى المستوى الدلالي, إذ يسعفنا الشاهد الشعري في التعرف على دلالة كثير من غريب الألفاظ والتي توسل القدماء نصوصا شعرية لإضاءة فضاءاتها, ولعل ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ يعد من أول من أرسى دعائم هذا الفهم وهذه المنهجية في توضيح دلالة كثير من ألفاظ القرآن الكريم, مستعينا بحافظته الشعرية وسعة إطلاعه, مما وفر له قدرا كبيرا من إضاءة النصوص وإزالة ما استعصى من فهم وإدراك. وفيما يلي أمثلة تتعلق بالمستوى الدلالي وتوضحه.

1. قوله تعالى: "ولكن لا تواعدوهن سرا"[(1)].

قال ابن عباس ومعه جمهور أهل العلم: السر: الجماع, واستشهد بقول امرئ القيس:

ألا زعَمتْ بَسْباسَةُ اليوْمَ أنني　　　كَبِرْتُ وأنْ لا يُحْسِنُ **السرَّ** أمْثالي[(2)] (طويل)

وبه استشهد الفراء في تفسيره للآية[(3)].

وقيل (السرّ): الزنا, واستشهد على ذلك بقول الأعشى:

فلا تقربنّ جارَةً إنَّ **سِرَّها**　　　عليْكَ حَرامٌ فانْكِحَنْ أوْ تَأبَّدا[(4)] (طويل)

2. قوله تعالى: "ولا يظلمون فتيلا"[(5)].

الفتيل: الخيط الذي في شق نواة التمر, قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد, واستشهد ابن عباس على ذلك بقول النابغة الذبياني:

يَجْمَعُ الجيْشَ ذا الألوفِ ويَغْزو　　　ثُمَّ لا يرْزَأ الأعادي **فَتيلا**[(6)] (خفيف)

---

(1) سورة البقرة: آية/ 235.
(2) **شرح ديوان امرئ القيس**, ص46.
(3) **معاني القرآن**, ج1, ص153.
(4) **ديوان الأعشى الكبير**, ص51.
(5) سورة النساء: آية/ 49.
(6) **ديوان النابغة الذبياني**, ص135.

وقيل الفتيل: هو القشرة التي حول النواة[1].

3. قوله تعالى: "وابتغوا إليه الوسيلة"[2].

قال ابن عباس: الوسيلة: الحاجة, واستشهد بقول عنترة:

إنّ الرِّجالَ لَهُمْ إليكِ **وَسـيلةً** إنْ يـأخـذوكِ تَكَـحَّلي وتَخَضَّبي[3] (كامل)

وفسرها القرطبي بأنها القرية[4], واستشهد ببيت عنترة السالف الذكر.

4. قوله تعالى: "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه"[5].

فسر ابن عباس الأنصاب بالحجارة التي كانت العرب تعبدها من دون الله وتـذبح لهـا. واستشهد بقول النابغة الذبياني:

فلا لَعَمْر الذي مسّـحتِ كَعْبَتَهُ وما هُريق على **الأنْصابِ** من جَسَدِ[6] (بسيط)

وقد أورد القرطبي في تفسيره معنى الأصنام للأنصاب, وأورد معنى آخـر للأنصـاب وهو النرد والشطرنج[7].

5. قوله تعالى: "وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت"[8].

قال ابن عباس: أن تبسل نفس: أن تحبس. واستشهد بقول زهير بن أبي سلمى:

وفارقَتْك بِرَهْنٍ لا فَكـاكَ لَـهُ يومَ الـوِداعِ فقَلْبي **مُبْسَـلٌ** غَلِقـا[9] (بسيط)

---

(1) **القرطبي**, مج3, ص1818.
(2) سورة المائدة: آية/ 35.
(3) **الديوان**, ص33.
(4) **القرطبي**, مج4, 2156.
(5) سورة المائدة: آية/ 90.
(6) **ديوان النابغة الذبياني**, ص28.
(7) **القرطبي**, مج4, ص2283.
(8) سورة الأنعام: آية/ 70.
(9) **شرح ديوان زهير**, ص58. وقد ورد العجز: يوم الوداع وأمسى الرهن قد غلقا.

وعن مجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والسُّـدِّي, أن تبسل: أي ترتهن وتسلم للهلكة[1].

6. قوله تعالى: "ومن الأنعام حمولة وفرشا"[2]

قال ابن عباس: الحمولة: ما يحمل, والفرش: الغنم. واستشهد بقول زهير بن أبي سلمى:

لَيْتَني كُنْتُ قَبْلَ ما قَدْ أراني   في قُلالِ الجِبالِ أرْعى الحَمولا[3] (خفيف)

وابن عباس يفسر الحمولة بكل ما حمل من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير.

أما القرطبي فيقصر الحمول على الإبل, ويستشهد بقول للحسن: الحمولة الإبل[4].

7. قوله تعالى: "واضربوا منهم كل بنان"[5]

قال ابن عباس: البنان: أطراف الأصابع. واستشهد بقول عنترة:

فَنِعْمَ فَوارِسُ الهيْجـاءِ قوْمي   إذا عَلِقـوا الأعنَّـةَ **بـالبَنـانِ**[6] (وافر)

وقالت فرقة منهم الضحاك: البنان هي الفاصل حيث كانت من الأعضاء. وقيل الأصابع وغيرها من الأعضاء[7].

---

(1) **القرطبي**, مج4, ص2452.

(2) سورة الأنعام: آية/ 142.

(3) لم أعثر عليه في الديوان.

(4) **القرطبي**, مج4, ص2548.

(5) سورة الأنفال: آية/ 12.

(6) **ديوان عنترة**, ص73.

(7) **البحر المحيط**, مج4, ص465.

8. قوله تعالى: "وجاءه قومه يهرعون إليه"[(1)].

قال ابن عباس: يهرعون: يقبلون عليه بغضب. واستشهد بقول المهلهل:

أتوْنا **يَهْرَعونَ** وهُمْ أُسارى نَسوقُهُمُ على رَغْمِ الأنـــوفِ[(2)] (وافر)

وفي البحر المحيط يهرعون: يسرعون

9. قوله تعالى: "فأسر بأهلك بقطع من الليل"[(3)].

قال ابن عباس: قطع الليل: آخر الليل. واستشهد بقول مالك بن كنانة:

ونائحَـــةٍ تَقومُ **بِقِطْعِ ليـــلٍ** علَى رَجُلٍ أصابَتُهُ شَـــعوبُ[(4)] (وافر)

قال ابن الأعرابي: أي ساعة من الليل, وقيل بظلمة, وقيل أنه نصف الليل[(5)].

10. قوله تعالى: "بئس الرفد المرفود"[(6)].

قال ابن عباس: "بئس الرفد المرفود: بئس اللعنة بعد اللعنة". واستشـــهد بقـــول النابغـــة الذبياني:

لا تغذِفَنّي بِرُكْنٍ لا كِفاءَ لَهُ وإن تأثّـــفكِ الأعْداء **بالرَّفَدِ**[(7)] (بسيط)

---

(1) سورة هود: آية/ 78.

(2) **الإتقان في علوم القرآن**, ج1, ص121. وقد استشهد أبو حيان التوحيدي بقول المهلهل:

فجاؤوا يَهرعون وهم أسارى يقودهم على رغم الأنوف

وقد عرّف محقق البحر المحيط بالمهلهل بأنه مهلهل بن يموت بن المزرع العبدي, من شـــعراء العصـــر الإخشـــيدي بمصر, توفي بعد سنة 334هـ.

ومثل هذا الأمر لا يستوي أبدا, إذ كيف لابن عباس وهو من القرن الهجري الأول أن يستشهد ببيت لشاعر من القـــرن الهجري الرابع ؟! انظر, **البحر المحيط**, مج5, ص248.

(3) سورة هود: آية/ 81.

(4) استشهد به صاحب **البحر المحيط** هكذا:

ونائحة تنوح بقطع ليل على رجل بقارعة الصعيد

دون نسبة. مج5, 248.

(5) **البحر المحيط**, مج5, 248.

(6) سورة هود: آية/ 99.

(7) **ديوان النابغة الذبياني**, ص29. تغذفني: ترميني. وكفاء: مثيل. وتأثفك الأعداء: احتوشوك متعاونين

وقد أورد القرطبي معاني أخرى للرفد بأنه القدح الضخم, وقيل هو الزيادة[1].

11. قوله تعالى: "وحنانا من لدنا"[2].

قال ابن عباس: وحنانا من لدنا: رحمة. واستشهد بقول طرفة بن العبد:

أبا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاستَبْقِ بَعْضَنا **حَنانيكَ** بَعْضُ الشّرِّ أهْوَنُ من بَعْضِ[3] (طويل)

وأضاف القرطبي[4] معاني أخرى لـ (حنانا) منها الرحمة, والرزق والبركة, وكذلك العطف واستشهد بقول الحطيئة:

تَحَنَّنْ عَلَيْكَ هَداكَ المَليكُ فإنِّ لِكُلِّ مَقامٍ مَقالا[5](متقارب)

12. قوله تعالى: "وأطعموا القانع والمعتر"[6].

قال ابن عباس: القانع: الذي يقنع بما يعطى. والمعتر: الذي يعترض الأبواب. واستشهد بقول لزهير بن أبي سلمى:

على مُكْثِريهِمْ حَقٌّ مَنْ **يَعْتَريهِمْ** وعَنْدَ المُقِلّينَ السَّماحَةُ والبَذْلُ[7] (طويل)

وقال مالك: أحسن ما سمعت أن القانع الفقير, والمعتر الزائر[8].

---

(1) **القرطبي**, مج5, ص3322.
(2) سورة مريم: آية/ 13.
(3) **الديوان**, ص96.
(4) **القرطبي**, مج6, ص4127.
(5) **ديوان الحطيئة**, ص72.
(6) سورة الحج: آية/ 36.
(7) **شرح ديوان زهير**, ص45.
(8) **القرطبي**, مج7, ص4457.

13. **قوله تعالى: "إنا خلقناهم من طين لازب"**[1].

قال ابن عباس: لازب: ملتصق.واستشهد بقول النابغة الذبياني:

ولا يَحْسَبونَ الخيْرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ   ولا يَحْسَبونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ **لازِبِ**[2] (طويل)

وقال عكرمة: لازب لزج. وقال السدي والكلبي في اللازب: أنـــه الخـــالص. مجاهـــد والضحاك: أنه المنتن[3].

14. **قوله تعالى: "لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون"**[4].

قال ابن عباس: لا فيها غول: نتن وكراهية. واستشهد بقول امرئ القيس:

رُبَّ كَأْسٍ شَرِبْتُ لا **غَوْلَ** فيها   وَسَقَيْتُ النَّديمَ مِنْهـــا مِزاجــــا[5] (خفيف)

وفسر القرطبي: لا غول فيها: أي لا تغتال عقــولهم, ولا يصـــيبهم منهـــا مـــرض ولا صداع[6].

15. **قوله تعالى: "ذو مرة فاستوى"**[7].

"ذو مرَة": حصيف العقل, قال قطرب: تقول العرب لكل جزل رأي حصيف العقـــل: ذو مرّة. قال الشاعر:

قدْ كُـــنْتُ قبـــلَ لِقاكُـــمُ ذا مَرّةٍ   عنـــدي لِكُـــلِّ مُخاصِمٍ ميزانُـــهُ[8] (كامل)

---

(1) سورة الصافات: آية/ 11.
(2) **ديوان النابغة**, ص53.
(3) **القرطبي**, مج8, ص5513.
(4) سورة الصافات: آية/ 47.
(5) **الإتقان في علوم القرآن**, ج1, ص124.
(6) **القرطبي**, مج8, ص5522.
(7) سورة النجم: آية/ 6.
(8) **القرطبي**, ج17, ص58.

قال ابن عباس: ذو مرة: ذو شدة في أمر الله. واستشهد بقول النابغة الذبياني:

قَـدْ كُـنْتُ أَقْريـهِ إذا ضافَني وهْناً قِـرىً **ذي مَرَّةٍ** حـازِمِ[1] (سريع)

قال قتادة: ذو مرة: ذو خلق طويل حسن. وقيل معناه: ذو صحة جسم وسلامة من الآفات[2]

16. قوله تعالى:"يطوفون بينها وبين حميم آن"[3]

قال ابن عباس: حميم آن: انتهى طبخه وحر. واستشهد بقول النابغة الذبياني:

وتُخضِبُ لحيَةٌ غَدَرَتْ وخـانَتْ بأحمرَ من نَجيعِ الجَوْفِ **آنـي**[4] (وافر)

"وقال كعب: (آن) واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم, ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار"[5]

17. قوله تعالى: "عربا أترابا"[6].

قال ابن عباس: هن العاشقات لأزواجهن. اللاتي خلقهن الله من الزعفران. واستشهد بقول النابغة الذبياني:

عَهِدْتُ بها سُعْدى وسُعدى عزيزةٌ **عَروبٌ** تَهادى في جَوارٍ خَرائدِ[7] (طويل)

"وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عربا" قال: (كلامهن عربي)"[8].

---

[1] **الإتقان في علوم القرآن**, ج1, ص127.
[2] **القرطبي**, مج9, ص6256.
[3] سورة الرحمن: آية/ 44.
[4] **ديوان النابغة الذبياني**, ص138. والنجيع: دم الجوف.
[5] **القرطبي**, مج9, ص6345 ـ 6346.
[6] سورة الواقعة: آية/ 37.
[7] **ديوان النابغة الذبياني**, ص62.
[8] **القرطبي**, مج9, ص6381.

18. قوله تعالى:"وإن لك لأجراً غير ممنون"[1].

قال ابن عباس: غير ممنون: غير منقوص. واستشهد بقول زهير بن أبي سلمى:

فَضْلُ الجَوادِ على الخيْلِ البِطاءِ فلا يُعْطي بذلِكَ **مَمْنونًــا** ولا نَزِقــا[2] (بسيط)

وقال مجاهد: "غير ممنون": غير محسوب. الحسن: "غير ممنون": غير مكدر بالمن[3].

19. قوله تعالى: "وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا"[4]

قال ابن عباس: المعصرات: السحاب يعصر بعضه بعضا. واستشهد بقول النابغة الذبياني:

تُجَرُّ بها الأرْواحُ منْ بيْنِ شَــمْألٍ وبين صَبًا **بالمُعْصِراتِ** الدَّوامِسِ[5] (طويل)

" قال مجاهد وقتادة: المعصرات الرياح"[6].

20. قوله تعالى:"ومن شر غاسق إذا وقب"[7].

قال ابن عباس: غاسق: الظلمة. واستشهد بقول زهير بن أبي سلمى:

ظَلَّتْ تَجوبُ يَداهــا وَهْيَ لاهِيَــةٌ حَتّى إذا أصْبَحَ الإظْلامُ **والغَسَقُ**[8] (بسيط)

واستشهد القرطبي لهذا المعنى بقول الشاعر:

يا طيف هندٍ لقدْ أبقيْتَ لي أرَقًــا إذْ جِئتَنا طارقًا والليلُ قد **غَسَقا**[9] (بسيط)

---

[1] سورة القلم: آية/ 3.
[2] وردت في **شرح الديوان:** فضل الجياد, ص63.
[3] **القرطبي**, مج10, ص6705.
[4] سورة النبأ: آية/ 14.
[5] **الإتقان في علوم القرآن**, ج18, ص124.
[6] **القرطبي**, مج10, ص6963.
[7] سورة الفلق: آية/ 3.
[8] **الإتقان في علوم القرآن**, ج1, ص134.
[9] **القرطبي**, مج20, ص256, ولم ينسبه لقائله.

قال الزجاج: قيل لليل غاسق لأنه أبرد من النهار. والغاسق: البارد. والغسق البرد. وقيل: الغاسق: الثريا. وقيل: هو الشمس إذا غربت. وقيل: هو القمر[1].

بعد هذا الاستعراض لحشد من الأمثلة, فإن ثمة ملحوظات يجدر تسجيلها على عجل:

1. أن أغلب الشواهد الشعرية, إن لم يكن كلها, والتي تمثل بها ابن عباس وغيره هي شواهد جاهلية.

2. يلاحظ أن تفسير ابن عباس ينسجم مع الطابع الذي اتسمت به تفاسير مرحلة ما قبل تدوين الشعر وجمع اللغة, ولذلك نجد أن تفسيره القائم اعتمادا على الشواهد الشعرية يتناول في الأعم الأغلب المفردات اللغوية, كما أنه يتسم بالشمولية في المعاني والاختصار في الألفاظ.

3. أن النصوص الشعرية المستشهد بها جاءت خالية من الخصوصيات اللهجية واللهجات القبلية المستكرهة.

4. خلو دواوين الشعر للشعراء المستخدمة أشعارهم في فهم معاني القرآن, من عدد لا بأس به من تلك الأشعار. ولعل ذلك عائد إلى كون المفسرين الأوائل قد استخدموا تلك الشواهد قبل حركة جمع الشعر وتدوين اللغة والتي لم تحط بكل ما قاله الشعراء ونظموه.

5. ثمة ملحوظة أن بعض النصوص الشعرية المستخدمة قد يختلف من مفسر إلى آخر وربما يعود ذلك إلى تعدد الروايات واعتمادها على الحافظة دون تدوين في ذلك العصر.

6. لا بد من الإشارة أخيرا إلى حقيقة مهمة وهي أن استخدام الشعر الجاهلي في الاستشهاد على معاني القرآن الكريم, والاستعانة به في فهم هذه المعاني لدليل واضح أن مرد الاختلاف في بعض اللهجات القرآنية عائد إلى المستوى الدلالي. وهذا ما كشفت عنه الأمثلة السابقة وأوضحته.

---

(1) **القرطبي**, مج10, ص7346 ــ 7347.

مظاهر التناص:

إن النظر في كل ما سبق من خلاف أو اختلاف يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن اصل الاختلاف في القراءات لم يكن تبعا للاختلاف في اللهجات, وإنما جاء تبعا لطبيعة القراءات ذاتها, والتي نبعت من طبيعة المجتمع الإسلامي الأول والتناص الذي نلحظه بين القراءات واللهجات يمكن أن نرجعه إلى ما يلي:

1. التناص الصوتي:

في توضيحنا لمذاهب القراء حول الهمزة وما يتعلق بأحكامها من القراءات المختلفة وجدنا أن تحقيق الهمزة أكثر انتشارا من تسهيلها. وتشير كتب العربية أن تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وبني أسد ومن جاورها, وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز[1].

وهذه القبائل التي كانت تحقق الهمز قبائل كانت تعيش في البادية, أما قبائل التسهيل فهي قبائل متحضرة وبخاصة في مكة والمدينة. ولعل مرد تحقيق الهمزة لدى القبائل التي كانت تسكن البادية هو أن هذا الصوت الحنجري الانفجاري الشديد أكثر تلاؤما ومناسبة للبيئة البدوية.

وفيما يتعلق بالقراءات التي كان قراؤها يقرؤون الصامت الحلقي مفتوحا, فإن لها نظيرا في أصوات عدد من القبائل العربية, ومثل هذه اللهجة يمكن أن تعزى إلى بني عقل وبني بكر بن وائل, إذ كانت الأولى تسكن البحرين, والثانية تسكن اليمامة إلى البحرين. وهذا ما يفسر سر هذا التشابه في اللهجة بين القبيلتين[2].

أما الأصوات التي كانت تتوزع بين الفتح والضم في عدد من الكلمات التي اختلف القراء حول قراءتها كقرح, كرها, وغيرها, فواضح أن هذه القراءات تبين أن القراء لم يكن لهم مذهب واحد في القراءة بالفتح والضم, مع الملاحظة أن أكثرهم قراءة بالفتح نافع وابن كثير,

---

[1] **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص105.

[2] المصدر السابق, ص113.

وقراءتهما تصور اللهجة التي كانت تسود بيئتهما. بينما كان قراء الكوفة هم الأكثر قراءة بالضم. "إذ أكثر ما ينسب الفتح في لهجات القبائل إلى أهل الحجاز, بينما ينسب الضم إلى أهل البادية"(1).

وإذا كانت القراءة بالإدغام مشهورة ومنتشرة بين القراء, فإن الإظهار كان شائعا ومنتشرا كذلك, إذ كان الإدغام لهجات قبيلة تميم وقبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها, بينما كان الإظهار لغة الحجازيين. ومن هنا كان الإدغام مشهورا عن أبي عمرو بن العلاء والكسائي وحمزة وابن عامر وهم قراء البيئة الكوفية والشام, بينما كان الإظهار مشتهرا عند أبي جعفر ونافع وابن كثير وعاصم ويعقوب وهم قراء البيئة الحجازية سوى عاصم ويعقوب فمن الكوفة والبصرة. ولعل اشتهار القبائل التي كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقها بالإدغام عائد إلى أن تلك القبائل هي قبائل بادية تميل إلى التخفف والسرعة في الكلام, فيما اشتهرت القبائل التي تنتمي لبيئة الحجاز المتحضرة بالإظهار وذلك لأنها كانت تميل إلى التأني في الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه(2).

أما عن الإمالة فيبدو أنها كانت شائعة في البيئة العراقية ممثلة بقراءات قراء البصرة والكوفة. والقبائل المميلة هي عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس(3), فيما يذهب أهل الحجاز نحو الفتح. لكن وجود الإمالة عن أهل اليمن وعند الحجاز بيِّنٌ في مواضع قليلة يجعلنا نقرر أن الإمالة كانت معروفة ومنتشرة بتفاوت في الجزيرة كلها.

وفيما يتعلق بالتأثر بالجهر أو بالإطباق أو بالمخالفة أو بالإتباع والذي ظهر في قراءات العديد من القراء. إذ إن الذين ذهبوا إلى الجهر هم القراء الذين ذهبوا إلى الإمالة بكثرة لاسيما حمزة والكسائي قارئا الكوفة.

---

(1) **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص122.

(2) المرجع السابق, ص133.

(3) **النشر في القراءات العشر**, ج2, ص30.

وإذا كان الصوت المجهور أوضح في السمع من المهموس, فإن المجهور يسمع من مسافة قد يخف عندها المهموس. ومن هنا يصبح انتشار الأصوات المجهورة لدى قبائل البادية أمرا طبيعيا إذ تتطلب البيئة الصحراوية مثل هذه الصفة في الأصوات, حتى تنتشر في مسافات شاسعة لا يعوقها عائق, ولا يحول دونها حائل. بينما ينسب الميل إلى الهمس إلى القبائل المتحضرة.

وحول ظواهر التأثر بالإطباق, والتأثر بالمخالفة, والتأثر بالإتباع, "فان التأثر بالإطباق ينسب إلى أهل البادية, وإن التأثر بالمخالفة ينسب إلى عبد القيس, وإن التأثر بالإتباع ينسب إلى أزد شنوءة"[1] مما يشير إلى أن هذه الظواهر كانت من خصائص اللهجات المنتشرة في البادية.

وبالنسبة للتأثر بالحذف فإن أبا عمرو بن العلاء كان أكثر القراء قراءة بالتسكين, ومعروف أن أبا عمرو من البيئة البصرية التي تميل إلى السرعة والاقتصاد في المجهود العضلي, ومثل هذا الحذف يوفر لهم ذلك.

2. دور الشاهد الشعري في توضيح التناص الصرفي:

لا شك أن كثيرًا من الموضوعات التي تدور حول الصرف تبنى على قوانين صوتية بحكم ذلك التأثر المتبادل بين الحروف حين يتصل بعضها ببعض, لكن هذا لا يمنع دراسة الصرف تحت باب منفرد ودون إلحاق بالمستوى الصوتي.

وحين نتحدث عن التناص الصرفي فإننا سنتناول ما ورد من قراءات في الضمائر, والمقصور والممدود, والمصادر, إضافة إلى الأفعال, وبين التفعيل والمفاعلة. مستعينا بالعديد من الأمثلة التي وردت في القراءات القرآنية ومبينا تناصها مع اللهجات.

---

[1] **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص152.

1. الضمائر

أ. ضمير المفرد المتكلم

القراء جميعا يقرأون بحذف الألف من (أنا) في قوله تعالى: (أنا أحيي) إذا وصلوا في كل القرآن, ويستثنى من ذلك قراءة أبي جعفر ونافع فإنهما يثبتان الألف في الوصل إذا لقيتهما همزة في كل القرآن, مثل (أنا أحيي) و(أنا أخوك) إلا في قوله تعالى: (إن أنا إلا نذير مبين) فإنهما يحذفان الألف وصلا. ولعل إثبات الألف لدى القبائل المشهورة بالهمز كان بهدف التوصل إلى تحقيق الهمزة. ومثال الحذف قول دريد بن الصمة:

وما **أنا** إلا من غُزَيَّة إن غَوَت   غَوَيْتُ وإن تَرْشُد غُزَيَّةُ أرشُدِ[1] (طويل)

وقول سحيم بن وثيل الرياحي:

أنا ابـن جَلا وطَلاعُ الثّنايـا   متى أضعِ العِمامَةَ تعْرِفونـي[2] (وافر)

في قوله تعالى: (وما أنتم بمصرخي) قرأ حمزة بكسر الياء في (بمصرخي) وقرأ الجمهور بفتحها[3].

والحجة في قراءتها بالكسر أنه جعل الكسرة بناء لا إعرابا. واحتج بأن العرب تكسر لالتقاء الساكنين كما تفتح, وشاهد ذلك قول الشاعر[4]:

قـالَ لهـا هَلْ لَكِ يا **تـا فِيِّ**   قالَتْ لَهُ مـا أنْتَ بالمَرْضِيِّ (رجز)

ومثل هذه القراءة بالكسر يرجح أنها لقبائل في البادية تذهب اللغة هناك إلى الكسر بينما تميل لهجات الحضر إلى الفتح. وعلى هذه اللهجة جاءت شواهد من نحو قول الشاعر[5]:

عليّ لِعَمْرو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَـةٍ   لوالدِهِ لَيْسَتْ بِذاتِ عَقـارِبِ(طويل)

---

(1) **الأصمعيات**, ص107.
(2) **الأصمعيات**, ص17.
(3) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, امج3, ص477.
(4) انظر, **الحجة في القراءات السبع**, ص203.
(5) **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص162.

ب. ضمير الغيبة

في قوله تعالى: "**فألقه إليهم**" قرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي (فألقهي إليهم) موصولة بياء, وقرأ حمزة وعاصم وأبو عمرو (فألقهْ إليهم) بإسكان الهاء[1].

وفي قوله تعالى: "**يرضه لكم**" قرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وخلف ونافع في رواية (يرضهو لكم) موصولة بواو, وقرأ ابن عامر (يرضهُ لكم) من غير إشباع, وقرأ حمزة وعاصم في رواية (يرضهْ) بإسكان الهاء[2].

وفي قوله تعالى: "يؤده إليك" قرأ أبو عمرو وحمزة بإسكان الهاء, وقرأ الباقون بكسرها ووصلها بياء[3].

ومثل هذه القراءات التي تكسر الهاء موصولة بياء, أو بضم الهاء موصولة بواو لها نظيرها في اللهجات العربية, إذ إن لهجة أهل الحجاز تأتي بالهاء والواو سواء كان ما قبلها مفتوحا أم مكسورا[4].

ج. ضمير الغيبة في التثنية والجمع

فيما يتعلق بضم الهاء وكسرها من ضمير التثنية والجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو (عليهم, وإليهم, ولديهم, وعليها, وإليها, وفيها) فقد قرأ يعقوب جميع ذلك بضم الهاء ووافقه حمزة في (عليهم, وعليها, وإليها, وفيهما) وقرأ الباقون بكسر الهاء[5].

---

(1) **العنوان في القراءات السبع**, ص144.

(2) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج4, ص764.

(3) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج1, ص776.

(4) **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص163.

(5) **النشر في القراءات العشر**, ج1, ص272.

واختلف القراء. في صلة ميم الجمع بواو وإسكانها إذا وقعت قبل متحرك, نحو (أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم)[1] و(مما رزقناهم ينفقون)[2] و(سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنـــذرهم لا يؤمنون)[3] و(على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)[4] فقــرأ ابن كثير وأبو جعفر بضم الميم من جمع ذلك ووصلها بواو وصلا, وقرأ الباقون بإسكان المــيم وأجمعوا على إسكانها وقفا[5].

ومن شواهده في الشعر قول الحطيئة:

قومٌ هم الأنفُ والأذناب **غيرهمْ** ومن يُسوّي بأنف الناقة الذَنَبا[6] (بسيط)

وقول بشار:

كيف يصفو لي **المُقامُ** وحيـدًا والأخـــلاءُ في المَقابِرِ هـــامُ

نَفَسَـــتْهُمْ علَــيَّ أُمُّ الــمَنـــايا **فأنـــامَتْهُمـــو** بعُنْفٍ فنامـــوا[7] (خفيف)

ومن شواهده قول الشاعر:

أصبـــح فيـــه شَبَهٌ مـــن أُمِّـــهِ مِن عِظَمِ الرأْسِ ومن **خُرْطُمِّهِ**[8] (الرجز)

واختلفوا في كسر ميم الجمع وضمها, وضم ما قبلها وكسره, إذا كان بعد المــيم ســاكن وكان قبلها كسرة أو ياء ساكنة وذلك نحو: (قلوبهم العجل) و(بهم الأسباب) و(يغنـــيهم الله مـــن فضله) و(يريهم الله) فقرأ أبو عمر وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الميم والهاء[9].

---

(1) سورة الفاتحة: آية/ 7.
(2) سورة البقرة: آية/ 3.
(3) سورة البقرة: آية/ 6.
(4) سورة البقرة: آية/ 7.
(5) **النشر في القراءات العشر**, ج1, ص273.
(6) **الديوان**, ص17.
(7) **ديوان بشار**, ج4, ص178.
(8) **اللسان**, (ش ب ه), ولم ينسبه.
(9) **النشر في القراءات العشر**, ج1, ص274.

وهذه القراءات تقدم الضمير في لهجتين, إذ يرد في بعضها مضموما وفي الأخرى مكسورا والضم لهجة قريش والحجازيين, أما الكسر فلهجة بكر بن وائل[1].

2. المقصور والممدود:

المقصور هو الاسم المتمكن الذي آخره ألف لازمة, والممدود هو الاسم المتمكن الذي آخره همزة بعد ألف زائدة. وإذا ما رجعنا للشواهد الشعرية سنجد عددا من النحاة يقولون بقصر الممدود ومد المقصور جاعلين ذلك من الضرورات الشعرية, مستشهدين على ذلك بقول الشاعر:

لا بُدَّ مِنْ **صَنْعا** وإنْ طالَ السَّفَرْ وإنْ تَحَنَّى كُلُّ عَوْدِ ودَبِــر[2] (رجز)

وبشاهد آخر على جواز مد المقصور:

سَــيُغْنيني الذي أغْنَـــاكَ عَنّي فَلا فقْرٌ يَــدومُ ولا **غَنَــاءُ**[3] (وافر)

فهل يندرج هذا تحت باب الضرورات الشعرية أم أن هناك لهجات تؤيدها قراءات قرآنية؟ لعل في الأمثلة التالية ما يجيب عن هذا التساؤل.

قال تعالى: "**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا**"[4].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعامر(دكا) منونة مقصورة, وقرأ حمزة والكسائي (دكاء) ممدودة غير منونة[5].

وفي قوله تعالى: "**يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**"[6].

قرأ طلحة بن مصرف (سناء) بالمد, وقرأ الجمهور (سنا برقه) بالقصر[1].

---

(1) **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص165 ــ 166.
(2) **شذا العرف**, ص92.
(3) **شذا العرف**, ص92.
(4) سورة الأعراف: آية/ 143.
(5) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج1, ص729.
(6) سورة النور: آية/ 43.

واضح من هذين المثالين أن القراء أجازوا القصر والمد في القرآن, والقرآن ليس شعرا ولذلك فأن قصر الممدود أو مد المقصور ليسا من الضرورات الشعرية وإنما هو تناص وتناغم مع بعض اللهجات العربية, إذ يذهب بنو تميم وقيس وربيعة وأسد إلى القصر بينما يذهب الحجازيون إلى المد.[2] إذ كانت تلك القبائل المتحضرة تذهب إلى التأني وتحقيق الأصوات, بينما تميل قبائل البادية كبني تميم وقيس وربيعة وأسد إلى السرعة في النطق مما يؤدي بها إلى الحذف أحيانا كثيرة. قال كعب بن زهير:

شُمُّ العرانينِ أبطالٌ لبوسهمُ   من نَسْجِ **داوُدَ** في الهيْجا سَرابيلُ[3] (بسيط)

وقد جاءت الهمزة في قوله: (الهيجا) محذوفة.

3. من المصادر

في قوله تعالى: "**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء منكم ومما تعبدون**"[4].

وفي قوله تعالى: "**وكذبوا بآياتنا كذابا**"[5].

وفي قوله تعالى: "**فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا**"[6].

قرأ الجمهور (بَراء) و(كِذابا) و(بزَعمهم) وخالفهم الكسائي في قراءة (بزعمهم) إذ قرأها مضمومة الزاي وهي لغة بني أسد[7].

---

[1] **القرطبي**, مج7, ص4682.
[2] **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**, ص168.
[3] **اللسان**, (ع ر ن) .
[4] سورة الزخرف: آية/ 26.
[5] سورة النبأ: آية/ 28.
[6] سورة الأنعام: آية/ 136.
[7] **البحر المحيط**, مج4, ص230.

أما القراءة في الآية الأولى فتقدم لنا مصدرا من الفعل الثلاثي, والمصدر (براء) لهجة لأهل العالية[1] وأما المصدر في القراءة الثانية (كَذابا) فمن فعل ثلاثي مضعف العين (كذّب) وهو للهجة يمانية ونسب أبو حيان هذا المصدر للهجة يمانية. أنشد أبو زيد[2]:

لقد طال ما لبّثْتني عَنْ صَحابَتي وعَنْ حِوَجٍ **قَضّاؤها** مِنْ شِفائيا(طويل)

أما القراءة في الآية الثالثة والتي عليها الكسائي من ضم للزاي في (بزعمهم) فهي مصدر من الفعل الثلاثي (زعم) وبما أنها لغة لأسد كما أسلفنا فإن ذلك يتوافق مع ميل هذه القبيلة إلى الضم.

---

(1) **البحر المحيط**, مج8, ص13. وهي عالية نجد.

(2) **اللسان**, (ق ض ي). وكذلك, **معاني القرآن**, ج3, ص229, حيث أورد البيت:

لقد طال ما تَبَطّتني عن صحابتي وعن حاجة قضاؤها من شفائيا

ثانيا: في الأفعال:

بين التفعيل والمفاعلة:

التفعيل في العربية للتكثير, والمفاعلة للمشاركة, وقد وردت قراءات تجمع بين الوزنين في فعل واحد. مثال ذلك:

في قوله تعالى: "**ولا تصعر خدك للناس**"(1).

قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (ولا تصعر) بغير ألف وبتشديد العين, وقرأ الباقون (تصاعر) بألف وعين مخففة(2). وصعّر بالتشديد لغة تميم, وتصاعر لغة الحجاز(3). وصعر خده وصاعره: أماله من الكبر. قال المتلمس:

وكنّا إذا الجَبّارُ **صَعّرَ** خَدَّهُ   أقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِه فتقوَّما(4) (طويل)

وفي قوله تعالى: "**ربنا باعد بين أسفارنا**"(5).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال وقرأ الباقون بألف وخففوا العين(6).

وهاتان القراءتان جاءتا على وزنين مختلفين (فعّل, وفاعل) وهما وإن اختلفا في الوزن إلا أنهما تتفقان في المعنى, فالمفاعلة لهجة الحجاز, والتفعيل لهجة بني تميم(7), وهم أكثر ميلا إلى التضعيف.

---

(1) سورة لقمان: آية/ 18.
(2) **النشر في القراءات العشر**, ج2, ص346.
(3) **البحر المحيط**, ج9, ص177.
(4) **اللسان**, (ص ع ر).
(5) سورة سبأ: آية/ 19.
(6) **النشر في القراءات العشر**, ص305.
(7) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج4, ص498.

وهكذا يتضح لنا ما بين القراءات واللهجات من تناص صرفي أكدت الأمثلة التي تم استعراضها حتمية وجوده.

3 ـ دور الشاهد الشعري في توضيح التناص الاشتقاقي:

ثمة تناص يلاحظ بين القراءات واللهجات, هو التناص الاشتقاقي إذ يمكن رصده من خلال الأمثلة التالية:

في قوله تعالى: "**فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم**"[1].

قرأ حمزة والكسائي (يعكفون) بكسر الكاف, والباقون بضمها[2]. وبما أن حمزة والكسائي كوفيان فهذا يفسر قراءتهم تلك والتي تتمشى مع لهجة أسد التي نزح البعض منها إلى الكوفة.

قال أبو ذؤيب يصف الأثافي:

فهنّ **عُكوفٌ** كَنوْحِ الكَريـ ـمِ, قَدْ شَفَّ أكْبادَهُنّ الهَوى[3] (متقارب)

وفي قوله تعالى: "**ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون**"[4].

قرأ ابن عامر وأبو بكر (يعرشون) بضم الراء والباقون بكسرها فهي تقرأ بالضم والكسر وهما لغتان[5].

قال جرير:

أخيلُكَ أمْ خيْلي بِبلْقاءَ أحْرَزَتْ دَعائِمَ **عَرْشِ** الحَيّ أن يَتَضَعْضَعا[6] (طويل)

---

(1) سورة الأعراف: آية/ 138.
(2) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج2, ص726. وكذلك **العنوان في القراءات السبع**, ص97.
(3) **اللسان**, (ع ك ف).
(4) سورة الأعراف: آية/ 137.
(5) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج2, ص724. وكذلك **العنوان في القراءات السبع**, ص97.
(6) **الديوان**, ص340.

وفي قوله تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله"[1] قرأ النحويان أبو عمرو والكسائي (لا تقنطوا) بكسر النون[2], وهذه هي لغة أهل الحجاز وأسد. وقرأ الباقون بالفتح وهي لغة باقي العرب[3]. قال حسان:

مِنْ بَعْدِ ما **قَنَطوا** فَفَرَّجَ عَنْهُمُ   تَنْزيلُ نَصٍّ مَليكِنا الوهّابِ[4] (كامل)

وفي قوله تعالى: "**إن الله يبشرك بيحيى**"[5].

تقرأ بفتح الياء وإسكان الباء. وكذلك تقرأ بكسر الشين مشددة. فحمزة والكسائي يقرآن (يبشرك) بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة[6] والتخفيف لغة تهامة. أما الباقون فبضم الياء وكسر الشين مشددة, وهي لغة أهل الحجاز[7]. والبشر والتبشير الإخبار بأمر سار تتغير عنده بشرة الوجه. قال الحطيئة:

فيا **بِشْرَهُ** إذْ جَرّها نَحْوَ قومِهِ   ويا **بِشْرَهُم** لمَّا رأوْا كَلْمَها يَدْمَى[8] (طويل)

وفي قوله تعالى: "**خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم**"[9].

قرئت (فاعتلوه) بضم التاء وكسرها. إذ قرأها نافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب بضم التاء, والباقون بكسرها[10]. وكسر التاء وضمها لغتان[11] بمعنى: فردوه بعنف. قال الفرزدق:

ليْسَ الكِرامُ بناحِلِيكَ أباهُمُ   حتى تُرَدَّ إلى عَطيّةَ **تُعْتَلُ**[12] (كامل)

---

[1] سورة الزمر: آية/ 53.
[2] انظر, **البحر المحيط**, مج5, 447. وكذلك **العنوان في القراءات السبع**, ص165.
[3] **المقتبس في اللهجات العربية والقرآنية**, ص69.
[4] **الديوان**, ص16.
[5] سورة آل عمران: آية/ 39.
[6] **الكشاف**, ج1, ص388. وكذلك **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج1, ص741.
[7] **الديوان**, ص272.
[8] **القرطبي**, مج3, ص1317.
[9] سورة الدخان: آية/ 47.
[10] **النشر في القراءات العشر**, ج2, ص371.
[11] **القرطبي**, مج9, ص5970.
[12] **جامع البيان**, ج11, ص80.

وفي قوله تعالى: "**وإذا قيل انشزوا فانشزوا** "[1].

قرأ نافع وابن عامر وعاصم (انشزوا فانشزوا) بضم الشين, والباقون بكسرها[2]. وضم الشين وكسرها لغتان بمعنى: ارتفعوا من أماكنكم[3]. قال الأخطل:

ترى الثَّعْلَبَ الحـوْليّ فيهـا كَأنَّـهُ   إذا ما عَلا **نَشْزًا** حِصانٌ مُجَلَّلُ[4] (طويل)

وفي قوله تعالى: "**يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**"[5].

قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر وحمزة (يحسبهم) بفتح السين حيثما وقع في القرآن الكريم, والباقون بكسرها[6]. وهما لغتان الأولى لتميم والثانية لأهل الحجاز[7]. وقد استعملت العرب الكسر والفتح في مضارع أربعة أفعال: يحسب, وينعم, وييئس, وييبس, حتى صار الكسر فيهن أفصح[8]. قال النابغة الجعدي:

إذا أصْعدَتْ عامِرٌ لا شيْءَ **يَحْسِبُهُم**   حتى يروْا دُونَهم هَضْبًا وأنْوالا[9] (بسيط)

وبعد فهذه الأمثلة التي تم استعراضها وأخرى كثيرة تحفل بها كتب القراءات تشير إلى أن هناك تناصا اشتقاقيا بين القراءات واللهجات إذ عرضت الأمثلة السابقة لنماذج واضحة تلاقت فيها القراءات مع اللهجات (اللغات) ومرد ذلك عائد إلى أصل الاشتقاق في تلك الكلمات التي ورد التناص فيها. ونحن لم نقم ببحث أصل الاشتقاق لأن ذلك تم بحثه في الصفحات السابقة التي حاولت البحث في أصل الاختلاف بين القراءات القرآنية, وإنما اكتفينا هنا بإبراز اللغات التي كان بينها وبين القراءات تناصا في قراءات عديدة.

---

(1) سورة المجادلة: آية/ 11.
(2) **العنوان في القراءات السبع**, ص187.
(3) انظر, **القرطبي**, مج9, ص6469.
(4) **شرح ديوان الأخطل التغلبي**, ص266.
(5) سورة البقرة: آية/ 273.
(6) انظر, **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج1, ص665.
(7) **البحر المحيط**, مج2, ص342.
(8) انظر, **الحجة في القراءات السبع**, ص103.
(9) النابغة الجعدي, **عصره وحياته وشعره**, ص102.

4- دور الشاهد الشعري في توضيح التناص النحوي:

اختلف القراء في كثير من كلمات القرآن الكريم ما بين التعامل معها كاسم مذكر أو مؤنث, وما بين رفعها ونصبها وجرها, وما إلى ذلك من تباينات تأخذ بعدا نحويا. ولذلك سنعمل على بعض الظواهر ونورد عليها أمثلة من القراءات مع الإشارة إلى ما في هذه القراءات من تناص مع لهجات عربية معروفة.

1. تذكير الاسم وتأنيثه:

في قوله تعالى: "**ولتستبين سبيل المجرمين**"[(1)].

قرأ أهل المدينة (ولتستبين) بالتاء ونصبوا (سبيل), وقرأ أهل الكوفة غير حفص (وليستبين) بالياء, و(سبيل) بالرفع. وقرأ الباقون (ولتستبين) بالتاء و(سبيل) بالرفع[(2)].

واضح أن من قرأها بالتاء ورفع (سبيل) فقد جعل (سبيل) فاعلا وأنثه, كما في قوله تعالى: "قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله أنا ومن اتبعن"[(3)]. ومن قرأ بالياء ورفع (سبيل) فقد أسند الفعل إلى (سبيل) وقد ذكره, كما في قوله تعالى: "**وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا**"[(4)].

أما عن اللهجات فإن (السبيل) يذكر ويؤنث[(5)], فتميم تذكره, وأهل الحجاز تؤنثه[(6)].

ورد في القرآن الكريم (وإن يروا سبيل الرشد) مذكر. وأيضا (لم تصدون عن سبيل الله) بالتأنيث.وقد ورد مؤنثًا في قول عبيد الله بن قيس:

أَلْحِقِيني بِلادَ بِشْرٍ خلاكِ الـــ ذَمُّ إذ خُلِّيَتْ إليه **السَبيلُ**[(7)] (خفيف)

---

(1) سورة الأنعام: آية/ 55.

(2) **مجمع البيان في تفسير القرآن**, مج2, ص476.

(3) سورة يوسف: آية/ 108.

(4) سورة الأعراف: آية/ 146.

(5) **اللسان**, (س ب ل).

(6) **القرطبي**, مج4, ص2434.

(7) **الديوان**, ص145.

وورد مذكرًا في قول جرير:

لَنــا السَـلَفُ المُقَـدَّمُ يا ابن تيْـمٍ إذا مــا ضــاقَ مُطَّلَــعُ **السَّــبيلِ**[1] (وافر)

وكذلك في قول الخنساء:

يهدي الرَّعيلَ إذا ضاقَ **السَّبيلُ** بِهِمْ نَهْدَ التَّليـلِ لِـصَعْبِ الأمْـرِ رَكّبـا[2] (بسيط)

في قوله تعالى: "**ولهم فيها أزواج مطهرة**"[3].

يقال للرجل زوج, ولامرأته أيضا زوج, وذكر الفراء أن زوجا المراد به المؤنث فيه لغتان, زوج لغة أهل الحجاز, وزوجة لغة تميم, وكثير من قيس وأهل نجد[4]. قال الشاعر:

يا صــاحِ بَلِّغ ذَوي **الزوْجاتِ** كُلِّهِمُ أنْ لَيْسَ وَصْلٌ إذا انحلَّتْ عُرى الذَّنَبِ[5] (بسيط)

وقال الفرزدق:

وإنَّ الذي يَسْـعى يحَرِّشُ **زوجَتي** كســاعٍ إلى أسْـدِ الشّـرى يسـتبيلها[6] (طويل)

2. (ما) بين الحجازيين والتميميين:

معروف أن (ما) تختلف وظيفتها ما بين الحجازيين والتميميين, إذ تعمل (ما) عمل ليس في لهجة الحجازيين, بينما تهملها لهجة التميميين. وقد وردت باللهجتين قراءات منها:

في قوله تعالى: "**ما هن أمهاتهم**"[7]

---

(1) **الديوان**, ص437.
(2) **الديوان**, ص11.
(3) سورة البقرة: آية/ 25.
(4) **البحر المحيط**. وكذلك **اللسان**, (ز و ج).
(5) **اللسان**, (ز و ج).
(6) **اللسان**, (ز و ج).
(7) سورة المجادلة: آية/ 2

قرأ عاصم في رواية (أمهاتهم) بالرفع, والباقون بالنصب. وقرأها ابن مسعود (بأمهاتهم) بزيادة الباء. وقراءة عاصم بالرفع على لغة تميم, والجمهور بالنصب على لغة الحجاز[1].

وفي قوله تعالى: "**ما هذا بشرا**"[2].

فقد قرأ الجمهور بشرا بالنصب, وقرأ ابن مسعود بالرفع[3].

قال الفراء: أهل نجد وبنو تميم يقولون: (ما هذا بشرا) و (ما هن أمهاتهم) بالرفع[4]. ومن الأمثلة على إعمال (ما) وإهمالها قول الشاعر:

وقالوا تَعَرَّفْها المَنازِلُ منْ مِنى **وما كُلّ** مَنْ وافى مِنَىً أنا عارِفُ[5] (طويل)

إذ يجوز قراءة (كل) بالرفع والنصب وذلك تبعًا لإعمال (ما) أو إهمالها.

3. ضمير الفصل:

تعامل النحويون مع ضمير الفصل أنه يأتي للتأكيد ولا يكون له محل في الإعراب, بشرط أن لا يكون في بداية جملة. لكن هناك لهجات تجعل له محلا في الإعراب, وقد وردت بهذه اللهجات قراءات منها:

في قوله تعالى: "**إن كان هذا هو الحق من عندك**"[6].

قرأ الجمهور بنصب (الحق) باعتباره خبر كان, وضمير الفصل لا محل له في الإعراب. وقرأ الأعمش وزيد بن علي برفع (الحق) وبذلك تكون الجملة خبر (كان) وهي لغة تميم كما يقول أبو حيان مستشهدا على ذلك بقول الشاعر[7]:

تَحِنُّ إلى ليْلى وأنْتَ تَرَكْتَها **وكُنْتَ علَيْها بالمَلا أنْتَ أقْدَرُ** (طويل)

---

(1) **البحر المحيط**, ج8, ص230.
(2) سورة يوسف: آية/ 31.
(3) **البحر المحيط**, ج5, ص304.
(4) **القرطبي**, مج9, ص6449.
(5) **شرح شذور الذهب**, ص221. وقد نسبه ابن هشام لمزاحم بن الحارث العقيلي.
(6) سورة الأنفال: آية/ 32.
(7) **البحر المحيط**, ج4, ص482. وقد نسبه أبو حيان إلى قيس بن ذريح في البحر.

وفي قوله تعالى: "**لكن كانوا هم الظالمين**"[1].

قرأ الجمهور على نصب (الظالمين) خبرا لكان. لكن عبد الله وأبا زيد (الظالمون) بالرفع على أنها خبر لضمير الفصل. وكذلك كانت قراءتهم لقوله تعالى: "**تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجرا**" برفع (خير) و(أعظم)[2]. علما أن الجمهور على نصب (خير) و(أعظم).

لكن اللافت للانتباه أن قراءة الجمهور على إهمال ضمير الفصل مما يعني أن إهماله هو الأكثر شيوعا في العربية.

4. المثنى:

لم تتعامل كل اللهجات مع المثنى على أنه يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء, فهناك لهجات تلزمه الألف دائما, وقد ورد على هذه اللهجة قراءات هي:

في قوله تعالى: "**إن هذان لساحران**"[3].

قرأ أبو عمر (هذين) بالياء, وقرأ الباقون بالألف[4].

وفي قوله تعالى: "**فكان أبواه مؤمنين**"[5].

الجمهور على نصب (مؤمنين. وقرأ أبو سعيد الخدري والجحدري (فكان أبواه مؤمنان)[6] وواضح أن هذه القراءات قد جاءت على لهجة من يلزم المثنى الألف في كل أحواله. وينسب ابن خالويه هذه اللهجة إلى (بلحارث بن كعب), واستشهد لذلك بقول شاعرهم[7]:

إن أباها وأبا أباها   قد بَلَغا في المَجْدِ **غايَتاها** [8] (رجز)

---

[1] سورة الزخرف: آية/ 76.
[2] **البحر المحيط**, ج8, ص27.
[3] سورة طه: آية/ 63.
[4] **النشر في القراءات العشر**, ج2, ص321.
[5] سورة الكهف: آية/ 80.
[6] **البحر المحيط**, ج6, ص146.
[7] ابن خالويه, **الحجة في القراءات السبع**, ص242.
[8] **البيت منسوب لرؤبة العجاج**, ونسبه آخرون لابن النجم الفضل بن قدامة العجلي. انظر, الأنصاري, ابن هشام, **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**, ص77. وكذلك **شرح ابن عقيل**, ج1, ص51.

ونظير هذا البيت قول المتلمس:

فأطْرَقَ إطْراقَ الشُّجاعِ ولَوْ رَأى   مَساغًا **لِناباه** الشُّــجاعُ لَــصَمَّمَا[1] (طويل)

والشاهد في قوله (لناباه) فإنه مثنى ناب وقد دخل عليه حرف الجر ولزم المثنى الألف.

تطابق الفعل مع فاعله أو نائبه إفرادا وتثنية وجمعا:

يرى النحاة أن الفعل في العربية لا يتطابق مع فاعله أو نائبه إفرادا وتثنية وجمعــا, إلا أنهم يذكرون أنه قد كانت هناك لهجة تطابق بين الفعل وفاعله أو نائبه ســموها **(لغــة أكلــوني البراغيث)**. وقد ورد عليها قراءات هي:

في قوله تعالى: "**وأسروا النجوى الذين ظلموا**"[2].

وفي قوله تعالى: "**ثم عموا وصموا كثير منهم**"[3].

لم يختلف القراء في الآيتين السابقتين , مما يشير إلى أن هذه اللهجــة كانــت معروفــة ومعترفا بها في الفصحى. وقد ورد على هذه اللهجات أشعار منها قول ابن قيس الرقيات:

تَــوَلّى قِتــالَ المــارِقينَ بســيْفِهِ   وَقَــدْ **أسْــلَماهُ مَعْبَــدٌ وَحَميــمُ**[4] (طويل)

ومثله قول الشاعر:

نُسِــيا حاتمٌ وكَــعْبٌ لّــدُن فــا   ضَتْ عطاياكَ يا ابنَ عبدِ العَزيزِ[5] (خفيف)

وكذلك قول أبي فراس الحمداني:

نَتَــجَ الــرَّبيــعُ مَحــاسِــنًا   أَلْحَقْنَهــا غُــرَّ السَّــــحائبْ[6] (كامل)

---

[1] **شرح شذور الذهب**, ص75. وكذلك, الفراء, **معاني القرآن**, ج2, ص184.
[2] سورة الأنبياء: آية/ 3.
[3] سورة المائدة: آية/ 71.
[4] **شرح شذور الذهب**, ص 204.
[5] المصدر السابق, ص204.
[6] المصدر السابق, ص205.

الاستثناء المنقطع:

ينصب الحجازيون الاسم بعد إلا في الاستثناء المنقطع, فيما يتبع بنو تميم الاسم بعد إلا ما قبلها. وقد ورد على ذلك قراءات

في قوله تعالى: "**ما فعلوه إلا قليل منهم**"[1].

قرأ الجميع برفع (قليل) إلا ابن عامر فأنه قرأ: "إلا قليلا منهم"[2].

وفي قوله تعالى: "**وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**"[3].

قرأ الجمهور بنصب (ابتغاء), وقرأ ابن وثاب (ابتغاءُ) على البدل في موضع نعمة وهي لغة تميم, واستشهد أبو حيان بقول بشر بن أبي حازم:

أضحَتْ خَلاءً قِفارًا لا أنيسَ بها — إلا **الجَآذِرُ** والظُّلُماتُ تَخْتَلِفُ[4] (بسيط)

وفي قوله تعالى: "**ما لهم به من علم إلا اتباع الظن**"[5].

قرأ الجمهور (اتباع) بالنصب. "ويجوز أن تكون في موضع رفع على البدل"[6]؛ أي ما لهم به من علم إلا اتباع الظن. قال الشاعر:

وبلدَةً ليسَ بها أنيسُ — إلا **اليَعافيرُ** وإلا **العيسُ**[7] (سريع)

وقد أبدل اليعافير والعيس من أنيس, وليسا من جنسه.

(1) سورة النساء: آية/ 66.
(2) **النشر**, ج2, ص250.
(3) سورة الليل: آية/ 19ـــ20.
(4) **البحر المحيط**, ج8, ص479.
(5) سورة النساء: آية/ 157.
(6) **القرطبي**, مج3, ص2006.
(7) **شرح شذور الذهب**, ص286. وقد نسبه لعامر بن الحارث المعروف بجراد العود.

صرف الممنوع:

يرى النحاة أن الممنوع من الصرف يعرب بالضمة رفعا, وبالفتحة نصبا وجــرا إلا إذا أضيف أو لحقته (ال), ويرون أنه قد يصرف للضرورة أو المناسبة. لكــن المتتبــع للقــراءات القرآنية يغلب على ظنه أن صرف الممنوع كان لهجة من اللهجات العربية.

وفيما يلي عرض لما ورد في القراءات من هذه الظاهرة.

في قوله تعالى: "**إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا**"(1).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة (سلاسل) ممنوع الصــرف, وقــرأ نــافع وعاصم والكسائي (سلاسلا) منونة(2).

وفي قوله تعالى: "**كانت قواريرا**"(3).

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير والكسائي بالتنوين, وقرأ الباقون بغير تنوين(4).

وفي قوله تعالى: "**ولا يغوث ويعوق**"(5).

قرأها الأعمش (ولا يغوثا ويعوقا) وكذا قرأها الأشهب(6).

ومن الأمثلة على صرف الممنوع من الصرف قول السيدة فاطمة – رضوان الله عليهــا – في رثاء أبيها صلى الله عليه وسلم:

ماذا على من شَمَّ تربةَ **أحْمَدٍ** ألا يشمَّ مَدى الزَّمانِ غَواليا(7) (كامل)

---

(1) سورة الإنسان: آية/ 4.
(2) **البحر المحيط**, ج8, ص387.
(3) سورة الإنسان: آية/ 15.
(4) انظر, **البحر المحيط**, ج8, ص387.
(5) سورة نوح: آية/ 23.
(6) انظر, **البحر المحيط**, ج8, ص336.
(7) **المرجع في اللغة العربية**, ج1, ص202.

والاسم الذي صرف هو: أحمد.

ومنه أيضًا قول امرئ القيس في معلقته:

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ **عُنيْزَةٍ** فقالت لك الويلات إنَّكَ مُرْجِلي[1] (طويل)

إذ صرف (عنيزة) ونوّنَها.

وواضح من هذه القراءات أن من قرأ بصرف الممنوع لا ينتمي لقبيلة واحدة, فمنهم من ينتمي للقبيلة الحجازية كأبي جعفر وابن كثير ونافع, ومنهم من هو من بيئة الكوفة كعاصم والكسائي, مما يعني أن صرف الممنوع كان لهجة لها اعتبارها ووجودها وأن المسألة ليست من باب الضرورة والمناسبة كما علل النحاة, ومثال ذلك قول المتنبي:

وألقى الشرقُ منْها في ثِيابي **دَنانيرًا** تفرُّ من البَنانِ
ملاعبُ جنّةٍ لو سارَ فيها **سُلَيْمانٌ** لسارَ بِتَرْجَمانِ[2] (الوافر)

فقد صرف المتنبي كلمتي (دنانير, وسليمان) علمًا أنهما ممنوعتان من الصرف. لكننا وانسجامًا مع تلك القراءات السابقة نجد أن المتنبي قد صرف الممنوع لأن لهجات عربية عديدة كانت تصرف الممنوع من الصرف.

5 ــ دور الشاهد الشعري في توضيح التناص الدلالي:

سبق وأن تطرق البحث إلى منهج عدد من المفسرين في التعامل مع غريب القرآن, ولعل ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ هو رائد هذا المنهج, إذ وظف الشاهد الشعري لتوضيح دلالة مفردة غريبة في القرآن. وقد سار على خطى ابن عباس ثلة من المفسرين كالطبري والقرطبي والزمخشري وأبي حيان وغيرهم, وكلهم كان يلجأ للشعر مدعما ما قدمه من معنى للعديد من المفردات القرآنية, حتى أننا لنجد كتبهم في التفسير تكاد تعد مرجعا مهمًا في التعرف على الشعر ودلالاته.

---

(1) **شرح الزوزني**, ص17.
(2) **شرح ديوان المتنبي**, ج4, ص252-253.

وإذا كان الشعر هو أصدق تعبير عن اللهجات العربية, فإن ثمة تناص بين هذا الشعر واللهجات القرآنية خصوصا في تقديم معنى واضح للعديد من المفردات العربية. وإذا ما أردنا تتبع الأشعار الواردة في كتب التفسير فإننا سنجد أنفسنا أمام كم هائل جدا من الشواهد الشعرية, الأمر الذي يدفعنا إلى عرض نماذج تفي بالمطلوب, وتوضح المراد, وتحقق الغاية التي نصبو الوصول إليها, ألا وهي إظهار التناص الدلالي بين العديد من المفردات القرآنية والشعرية مما يؤكد وحدة اللغة, وقطعية كون هذا القرآن بلسان عربي مبين.

1. في قوله تعالى: "الله يستهزئ بهم"[1].

فسر القرطبي[2] الاستهزاء بالانتقام والعقاب. وهنا سميت العقوبة باسم الذنب, والعرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم, من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا **يَجْهَلَنْ** أحدٌ علَيْنا   **فَنَجْهَلَ** فَوْقَ **جَهْلِ الجاهِلِينا**[3] (وافر)

فسمى انتصاره جهلا, والجهل لا يفتخر به ذو عقل, لكنه تناغم مع ما اعتاده العرب مع أنهم كانوا إذا وضعوا لفظا بإزاء لفظ جوابا له وجزاء ذكروه بمثل لفظه وإن كان مخالفا له في معناه. وعلى ذلك جاء القرآن كقوله تعالى: "**وجزاء سيئة سيئة مثلها**" وقوله: "**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**".

2. في قوله تعالى: "أو كصيب من السماء"[4].

فسر القرطبي[5] **(الصيّب)**: المطر. من صاب يصوب إذا نزل. واستشهد بقول علقمة:

فلا تَعْدِلي بيني وبَيْنَ مُعَمَّرٍ   سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حَيْثُ **تَصوبُ**[6] (طويل)

(1) سورة البقرة: آية/ 15.
(2) **القرطبي**, ج1, ص180.
(3) **شرح المعلقات السبع**, ص178.
(4) سورة البقرة: آية/ 19.
(5) **القرطبي**, ج1, ص186.
(6) **الديوان**, ص22.

3. في قوله تعالى: "وكلا منها رغدا حيث شئتما"[1].

فسر الطبري[2] (الرغد) الواسع من العيش الهنيء الذي لا يعني صاحبه. واستشهد بقول امرئ القيس:

بَيْنَمَـــــا المَـــرْءُ تَـــراهُ ناعِمًـــا يأمَنُ الأحْداثَ في عَيْشٍ **رَغِـــدْ**[3] (رمل)

وفي اللسان[4]: أرغد فلان: أصاب عيشا واسعا.

4. في قوله تعالى: "فتوبوا إلى بارئكم"[5].

جاء في الطبري[6]: (أي إلى خالقكم. وهو من برأ الله الخلق يبرؤه فهو بارئ. والبريّة: (الخلق) شاهده قول النابغة الذبياني:

ألا سُلَيْمانَ إذْ قـــالَ المَليكُ لَـــهُ قُمْ في **البَرِيّةِ** فاحْدُدْها عَنِ الفَنَدِ[7] (بسيط)

وبذلك فسرت في الشعر الجاهلي. قال الزوزني[8] في شرح قول الحارث بن حلّزة:

مَلِـــكٌ أضْرَعَ **البَرِيَّـــــةَ** لا يـــو جَـــدُ فيها لِمَا لَديـــهِ كِـــــفاءُ(خفيف)

5. في قوله تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا"[9].

فسر أبو حيان[10] (وسطا) الخيار من الشيء. يقال: فلان وسط قومه: أي من خيـــارهم وأهل الحسب فيهم. واستشهد بقول زهير:

وهُمْ **وَسَطٌ** يرضى الأنامُ بِحُكْمِهِمْ إذا نَزَلَتْ إحْدى الليالي بمُعظمِ[11](طويل)

---

(1) سورة البقرة: آية/ 35.
(2) **الطبري**, ج1, ص183.
(3) لم أعثر عليه في الديوان.
(4) **لسان العرب**, ج1, ص80.
(5) سورة البقرة: آية/ 54.
(6) **الطبري**, ج1, ص229.
(7) **الديوان**, ص24.
(8) **شرح المعلقات السبع**, ص227.
(9) سورة البقرة: آية/ 143.
(10) **البحر المحيط**, ج1, ص591.
(11) ورد في **شرح المعلقات للزوزني**, ص117: لحيٍّ حِلالٍ يعصِمُ الناسَ أمرُهم إذا طرقت إحدى الليالي بمعظمِ.

أما رواية البيت فصدره (لحَيٍّ حِلال يعصم الناسَ أمرُهم)[1].

6. في قوله تعالى: "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام"[2].

فسر أبو حيان[3] (الشطر) بـ (النصف والجزء من الشيء أو الجهة). واستشهد بقول الشاعر:

ألا مَنْ مُبْلُغٌ عَنّي رَسولا | وما تُغْني الرِّسالَةُ **شَطْرَ** عَمْرو(وافر)

أي نحوه. وبقول أبي زنباع:

أقولُ لأمِّ زِنْباعَ أقيمي | صُدورَ العيسِ **شَطْرَ** بني تميمِ[4] (وافر)

7. في قوله تعالى: "كتب عليكم الصيام"[5].

فسر أبو حيان[6] (الصيام) بالإمساك. والعرب تسمي كل ممسك صائما, ومنه الصوم في الكلام (إني نذرت للرحمن صوما) أي سكوتا, وصامت الريح: أمسكت عن الهبوب. واستشهد بقول النابغة الذبياني:

خيل **صِيامٌ** وخيْلٌ غَيْرُ **صائمَةٍ** | تَحْتَ العَجاجِ وأخْرى تَعلكُ اللُّجُما[7] (بسيط)

وفي اللسان[8]: (الصوم في اللغة: الإمساك عن الشيء والترك له).

---

[1] **شرح المعلقات السبع**, ص117, **وجمهرة أشعار العرب**, ج1, ص295.

[2] سورة البقرة: آية/ 149.

[3] **البحر المحيط**, ج1, ص592.

[4] **اللسان**, (ش ط ر), ونسبه لأبي زنباع الجذامي.

[5] سورة البقرة: آية/ 183.

[6] **البحر المحيط**, ج2, ص30.

[7] **الديوان**, ص217.

[8] **اللسان**, (ص و م).

8. في قوله تعالى: "كان الناس أمة واحدة"[1] .

فسر الطبري[2] (الأمّة) هنا بـــ (الدين), واستشهد بقول النابغة الذبياني:

حَلَــفْتُ فلــمْ أتْركْ لنفْسِــكَ ريبَـــةً وهَلْ يأثَمَن ذو **أمَّةٍ** وهوَ طائعُ[3] (طويل)

9. وفي قوله تعالى: "أصابها وابل"[4].

فسر القرطبي[5] (وابل) أي مطر شديد, واستشهد بقول الأعشى:

ما روْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْراءَ جادَ عليْها **وابِلٌ** هَطِلُ(بسيط)

وفي شرح ديوان امرئ القيس[6] من قصيدته الرائية التي يقول فيها:

ســـــاعةً ثــمَّ انْتحـــاهـــا **وابــِلٌ** ساقِطُ الأكْنافِ واهٍ مُنْهَمِرْ(رمل)

الوابل: أشد المطر

10. في قوله تعالى: "كدأب آل فرعون"[7].

قال أبو حيان[8]: يقال للعادة دأب, ونقل عن أبي عطية قوله: دأب يدأب إذا لازم فعــل الشيء وداوم عليه مجتهدا فيه. ومنه قول امرئ القيس:

كَــدَأْبِكَ مِنْ أمِّ الحُــويْرِثِ قَبْلَهــا وجارَتِها أمّ الرَّباب بمَأْسَلِ[9] (طويل)

---

(1) سورة البقرة: آية/ 213.
(2) **الطبري**, ج2, ص194.
(3) **الديوان**, ص82.
(4) سورة البقرة: آية/ 265.
(5) **القرطبي**, ج2, ص1124.
(6) **شرح ديوان امرئ القيس**, ص107.
(7) سورة آل عمران: آية/ 11.
(8) **البحر المحيط**, ج2, ص406.
(9) **الديوان**, ص30.

وشرح الزوزني[1] الدأب بقوله: الدأب: العادة, وأصلها متابعة العمل في الجد والسعي.

11. في قوله تعالى: "ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله"[2].

فسر القرطبي[3] (تسأموا): تملوا. واستشهد بقول زهير بن أبي سلمى:

سئمتُ تَكاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ثَمانينَ حَوْلا ــ لا أبا لَكَ ــ يَسْأَمِ[4] (طويل)

قال الزوزني[5]. في شرحه للبيت: سئمت الشيء سآمة: مللته.

12. في قوله تعالى: "والله عنده حسن المآب"[6].

فسر القرطبي[7] (المآب) بالمرجع؛ آب يؤوب إيابا إذا رجع. واستشــهد بقــول امــرئ القيس:

و قد طَــوَّفْتُ في الآفــاقِ حتّى رَضيتُ مِــنَ الغَنيمَــةِ **بالإيــابِ**[8] (وافر)

13. في قوله تعالى: "ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم"[9].

قال أبو عبيدة: يجوز أن يكون بعض بمعنى كل, واستشهد بقول لبيد:

ترّاكُ أمْكِنَــةٍ إذا لــمْ أرْضَهــا أو يَرْتَبِطْ **بَعْضُ** النُّفوسِ حِمامُهــا[10] (كامل)

---

(1) **شرح المعلقات السبع**, ص11.

(2) سورة البقرة: آية/ 282.

(3) **القرطبي**, ج2, ص1208.

(4) الزوزني, **شرح المعلقات السبع**, ص118.

(5) **شرح المعلقات السبع**, ص118. وكذلك, **شرح ديوان زهير**, ص31.

(6) سورة آل عمران: آية/ 14.

(7) **القرطبي**, ج2, ص1279.

(8) **شرح ديوان امرئ القيس**, ص84.

(9) سورة آل عمران: آية/ 50.

(10) **اللسان**, (ب ع ض). وكذلك **الأضداد**, ص181. وكذلك الزوزني, **شرح المعلقات السبع**, ص151.

ومثل هذا الاستشهاد في غير محله لأن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يحلل لهم كل شـيء حُرّم عليهم. ولكن يمكن استخدام (بعض) بمعنى (كل) إذا انضمت إليها قرينة تدل عليها. مثـال ذلك قوله تعالى: "**ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه**"[1] بمعنى كل الذي تختلفون فيه, ومثال ذلـك أيضًا قول طرفة بن العبد:

أبا مُنْذِرٍ أَفْنيْتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنا حنانيْك بَعْضُ الشرِّ أهوَنُ منْ **بَعْضِ**[2] (طويل)

يريد بعض الشر أهون من كله[3].

14. وفي قوله تعالى: "مذبذبين بين ذلك"[4].

فسر القرطبي[5] (المذبذب) المتردد بين أمرين, والذبذبة الاضطراب. واستشـهد بقـول النابغة:

ألم تَرَ أنَّ اللهَ أعْطاكَ سـورَةً تَـرى كُـلَّ ملكٍ دونَهـا **يتَذَبْـذَبُ**[6] (طويل)

وفي اللسان[7] (رجل مذبذب ومتذبذب: متردد بين أمرين)

15. في قوله تعالى: "وهم ينهون عنه وينأون عنه"[8].

فسر القرطبي[9] (النأي) بالبعد. وبذلك أيضا فسر[10] النأي في قول طرفة:

فما لي أَراني وابْنَ عميَ مالِكًا مَتَـى أدْنُ مِنْـهُ يَنْـأَ عنّي ويبعُـدِ(طويل)

---

(1) سورة الزخرف: آية/ 63.
(2) **الديوان**, ص96.
(3) انظر, **القرطبي**, ج3, ص1338.
(4) سورة النساء: آية/ 143.
(5) **القرطبي**, ج3, ص1993.
(6) **ديوان النابغة**, ص46.
(7) **لسان العرب**, (ذبب).
(8) سورة الأنعام: آية/ 26.
(9) **القرطبي**, ج4, ص2402.
(10) **شرح المعلقات السبع**, ص86.

16. في قوله تعالى: "أو دما مسفوحا"[1].

يقول الطبري[2]: (فإن معناه: دما مسال مهراقا) ويستشهد بقول طرفة بن العبد:

إنّي وجَدّكِ ما هَجوتُـــكَ والـــ   أنْصابُ **يُسْفَحُ** فوقَهُنّ دَمُ[3] (كامل أحذ)

17. في قوله تعالى: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها"[4].

فسر القرطبي[5] (الجنوح) بالميل. واستشهد بقول النابغة الذبياني:

جَوانِحُ قــد أيْقَــنَّ أنْ قَبيلَـــهُ   إذا ما التقى الجَمْعانِ أوّلُ غالِبِ[6] (طويل)

وكذلك شرح الزوزني[7] بيت طرفة بن العبد:

جَنُوحٌ دِفاقٌ عَنْدَلٌ ثمَّ أفْرَغَتْ   كِتافها فــي معــالى مُصعّــدِ[8] (طويل)

18. في قوله تعالى: "إن إبراهيم لأواه حليم"[9]

فسر الطبري[10] (التأوه) بالتضرع والمسألة بالحزن والإشفاق. واستشهد بقول المثقب العبدي:

إذا مـــا قُمْتُ أرْحَلُهـــا بِلَيْـــلٍ   **تَأوّهُ آهــةَ** الرَّجُــلِ الحَزيـــنِ(وافر)

ومما ينبئ على أن معنى التأوه هو التضرع والمسألة ما يكمله الشاعر على لسان ناقته:

---

(1) سورة الأنعام: آية/ 145.
(2) **الطبري**, ج5, ص32.
(3) **الديوان**, ص120.
(4) سورة الأنفال: آية/ 61.
(5) **القرطبي**, ج5, ص2878.
(6) **الديوان**, ص50.
(7) **شرح المعلقات السبع**, ص72.
(8) الجنوح: التي تميل, الدفاق: المندفعة في سيرها, العندل: العظيمة الرأس.
(9) سورة التوبة: آية/ 114.
(10) **الطبري**, ج6, ص37 ــ 38.

أكل الدهر حَلٌّ وارتحـــال   أمـــا يبقـــي علـــيّ ولا يقيني[1] (وافر)

19. في قوله تعالى: "فلما ذهب عن إبراهيم الروع"[2].

فسر الطبري[3] (الروع) بالخوف, واستشهد بقول عنترة العبسي:

ما راعَني إلا حَمولَةُ أهْلِها   وَسْطِ الدِّيارِ تَسِفُّ حَبَّ الخِمخِمِ[4] (كامل)

بذلك أيضا شرح الزوزني[5] البيت.

20. في قوله تعالى: "مقرنين في الأصفاد"[6].

فسر القرطبي[7] (الأصفاد) بالأغلال والقيود. واستشهد بقول عمرو بن كلثوم:

فآبوا بالنِّهـــابِ وبالسَّـــبايا   وَأُبْنَـــا بالمُلـــوكِ **مُصَفَّدينـــا**(وافر)

وكذلك شرح الزوزني[8] للبيت إذ يقول: التصفيد: التقييد.

21. في قوله تعالى: "وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين" [9].

فسر القرطبي[10] (تزاور): تنحني وتميل. واستشهد بقول عنترة:

فازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلَبانِهِ   وَشَـــكا إليَّ بِعَبْـــرَةٍ وَتَحَمْحُـــمِ(كامل)

وفي شرحه للبيت يقول الزوزني[1]: الازورار: الميل.

---

(1) **شرح ديوان المثقب العبدي**, ص65 ــ 66. وكذلك **المفضليات**, ص291-292.
(2) سورة هود: آية/ 74.
(3) **الطبري**, ج6, ص47.
(4) الخمخم نبت تعلفه الإبل.
(5) **شرح المعلقات السبع**, ص194.
(6) سورة إبراهيم: آية/ 49.
(7) **القرطبي**, ج6, ص3613.
(8) **شرح المعلقات السبع**, ص183.
(9) سورة الكهف: آية/ 17.
(10) **القرطبي**, ج6, ص3985.

22. في قوله تعالى: "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا" (2)

قال أبو حيان(3): الضنك: مصدر يوصف بــه المــذكر والمؤنــث والمفــرد والمثنــى والمجموع.

ومعنى الضنك: الشاق من العيش. ومنه قول عنترة:

إن المَنيَّةَ لــوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَــتْ مِثْلي إذا نَزَلــوا **بِضَنْكِ** المَنْزِلِ(4) (كامل)

وفي اللسان(5): (الضنك: الضيق من كل شيء... ومعيشة ضنك: ضيقة).

23. في قوله تعالى: "أزفت الآزفة"(6).

فسر القرطبي(7) (أزفت): قربت ودنت. واستشهد بقول النابغة الذبياني(8):

أَزِفَ الترحّلُ غيْرَ أنَّ رِكابَنا لمّا تَزَل بِرحالِنــا وكَــأَنْ قَــدِ(9) (كامل)

24. وفي قوله تعالى: "ومتاعا للموقين"(10).

يرى الطبري(11) أن أصوب تفسير (للموقين) هنا: للمسافر الذي لا زاد معه, ولا شــيء له. وأصله من أقوت الدار: إذا خلت من سكانها وأهلها. واستشهد بقول النابغة الذبياني:

أقْوى وأقْفَرَ مِنْ نُعْم وغيْرَها هُوجُ الرياحِ بهابي التُّرْبِ مَوّارِ(12) (بسيط)

وبقول عنترة:

---

(1) **شرح المعلقات السبع**, ص213.
(2) سورة طه: آية/ 124.
(3) **البحر المحيط**, ج6, ص365.
(4) **الديوان**, ص58.
(5) **لسان العرب**, ج10, ص162.
(6) سورة النجم: آية/ 57.
(7) **القرطبي**, ج9, ص6292.
(8) **ديوان النابغة الذبياني**, ص143.
(9) وكأن قد: وكأن قد زالت الركاب.
(10) سورة الواقعة: آية/ 73.
(11) **الطبري**, ج9, ص116.
(12) **ديوان النابغة**, ص32. هابي الترب: سافي التراب, موّار: متحرك.

حُييتَ مِنْ طَلَلٍ تَقــادَمَ عَهْـدُهُ **أقْوى** وأقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَــمِ(كامل)

قال الزوزني[1]: الإقواء والإقفار: الخلاء

25. في قوله تعالى: "ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هـم المفلحون"[2].

فسر القرطبي[3] **(الشح)**: البخل. واستشهد بقول عمرو بن كلثوم[4]:

تَرى اللّحزَ **الشَّحيحَ** إذا أُمِّرَتْ عَليهِ لِمَا لَـهُ فيهــا مُهينــا[5] (وافر)

وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل. وقيل هو البخل مع حرص.

26. في قوله تعالى: "يخرج من بين الصلب والترائب"[6].

فسر القرطبي[7] **(الترائب)** أي الصدر, والواحدة تريبة, وهي موضع القلادة من الصدر. واستشهد بقول امرئ القيس:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضــاءُ غَيْرَ مُفاضَــةٍ **تَرائبُها** مَصْقولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ[8] (طويل)

والمشهور من كلام العرب أنها عظام الصدر والنحر.

---

(1) **شرح المعلقات السبع**, ص192.

(2) سورة الحشر: آية/ 9.

(3) **القرطبي**, ج9, ص6508.

(4) **شرح المعلقات السبع**, ص166.

(5) اللحز: الضيق الصدر.

(6) سورة الطارق: آية/ 7.

(7) **القرطبي**, ج10, ص7095.

(8) **ديوان امرئ القيس**, ص34.

27. في قوله تعالى: "فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ"[(1)].

فسر القرطبي[(2)] **(الجيد)**: العنق. واستشهد بقول امرئ القيس:

وجيدٍ كَجِيدِ الرِّيم[(3)] ليس بفاحِشٍ إذا هي نَصَّتْهُ وَلا بِمُعَطَّلِ[(طويل)]

28. في قوله تعالى: "وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ"[(4)].

قال القرطبي[(5)]: يعني الساحرات اللائي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها, شبه النفخ كما يعمل من يرقى. واستشهد بقول عنترة:

فإن يَبْرَأ فَلَمْ **أنْفُثْ** عَلَيْهِ وإن يُفْقَدْ فحُقَّ له الفقودُ[(6)] [(وافر)]

[(1)] سورة المسد: آية/ 5.

[(2)] **القرطبي**, ج10, ص7331.

[(3)] هكذا وردت في **القرطبي, وجمهرة أشعار العرب**. ووردت مهموزة في **الديوان**, ص34. **وشرح المعلقات السبع**, ص29.

[(4)] سورة الفلق: آية/ 4.

[(5)] **القرطبي**, ج10, ص7347.

[(6)] **ديوان عنترة**, ص42.

قبل الختام:

ثمة جملة من القضايا يلحظها الباحث وهو يستقرئ الشواهد الشعرية التي وظفها المفسرون في خدمة النص القرآني, ولعل أبرز هذه القضايا ما يلي:

1. لم يظهر أثر ــ فيما استشهدوا به من شعر ــ للهجة مستكرهة أو لثغة مستقبحة, بل إن شواهدهم الشعرية قد سمت على الخصائص اللهجية المرذولة والعيوب النطقية.

2. تأكيدا للمعنى المفسر به اللفظ القرآني, نجد المفسرين قد أكثروا من الشواهد الشعرية كما أنها اختلفت من مفسر لآخر.

3. إن هذه الغزارة في استخدام الشواهد الشعرية لدليل قطعي على عربية القرآن وعربية معانيه.

4. لقد كان الشاهد الشعري مرجعا مهما في معرفة مقاصد العرب بمعاني الألفاظ وترشيح ما يناسب منها تفسيرا للفظ القرآني والاستشهاد به. كذلك يحتكم إليه في تحكيم ما يرجحون من تفاسير ومعانٍ مختلفة تعارضت أدلتها النقلية والعقلية, فيرجعون بها إلى المعروف في كلام العرب من خلال شعرهم لاسيما الجاهلي منه.

5. كان الشاهد الشعري عاملا مهما في ترجيح قراءة على غيرها.

6. يلاحظ أن شراح الشعر الجاهلي كانوا يلجأون إلى القرآن لتوضيح معاني الشعر, فيما يستشهد مفسرو القرآن بالشعر لاسيما الجاهلي منه لتأكيد ما يذهبون إليه. وهذا دليل قاطع على وحدة اللغة.

7. لقد أثبت المفسرون من خلال شواهدهم الشعرية أن الظواهر الأسلوبية في القرآن هي جري على سنن العرب في كلامهم.

8. وقف المفسرون بالشعر عند استشهادهم به على معاني القرآن, حيث يقف الاستعمال اللغوي عند العرب, دون تجاوز إلى ما استحدث في الإسلام من معان ومفاهيم إسلامية لم تكن معروفة لدى العرب إبان جاهليتهم.

الخاتمة:

بعد هذه الصحبة الإيمانية والشائقة للقرآن الكريم والشعر العربي, استطاع البحث أن يخلص إلى نتائج عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

مفهوم التناص هو مفهوم نقدي غربي حديث, ما زال يعاني بعض الضبابية وعدم الاستقرار كما أن مضمون هذا المفهوم كان معروفا لدى قدامى النقاد العرب, وأن دراسته كانت تحت مسميات عديدة على تماس مع هذا المفهوم. ويعتبر التضمين بمعناه الواسع, وبضمه ألوانا وأشكالا بلاغية مختلفة كالاقتباس, والاهتدام, والاصطراف وغيرها, المصطلح البلاغي الأنسب ليكون بديلا عن التناص.

إن البحث عن دلالة المفردة الغريبة في القرآن وسياقها كما ورد في الشعر الجاهلي وما بعده, ليس من باب الاحتجاج على غريب القرآن بالشعر, وليس في ذلك جعلا للشعر أصلا للقرآن, بل هو تبيان الحرف الغريب من القرآن بالشعر, انطلاقا من وحدة اللغة بينهما. ولم يقتصر التناص بين القرآن والشعر على الجانب اللغوي, بل هناك تناص أسلوبي تمثل بالعديد من الظواهر الأسلوبية والبلاغية. وقد اتجهت دراسات القدماء إلى الاحتجاج بالشعر أكثر من النثر على غريب القرآن ومشكله وأسلوبه, ولعل مرد ذلك إلى أن الشعر هو ديوان العرب.

لقد كان الشعر في أيدي القدماء وسيلة للكشف عن معاني القرآن وتوجيه قراءاته, كما أنه يقود إلى أحكام وتشريعات متعددة, كما وظفت الشواهد في سبيل استنطاق مظاهر الإعجاز القرآني, علاوة على الدفع بالقراءات نحو التعاضد لتقديم صورة متكاملة للإعجاز القرآني.

ثمة أشعار كثيرة احتج بها المفسرون لم نعثر عليها في دواوين الشعراء المنسوبة إليهم وربما ذلك عائد إلى أن هذا الاستشهاد بالشعر قد سبق مرحلة التدوين والتي ضاعت قبلها أشعار كثيرة.

تمثل دراسة اللهجات العربية مدخلا مهما في فهم طبيعة العربية الفصحى, وتفسيرا ملائما لتعدد القراءات القرآنية. كما تعتبر الأسواق الأدبية الرحم الذي وفر أغلب الظروف لجنين اللغة الأدبية أن يتشكل نطفة فعلقة فمضغة, وإن التنافس بين الأدباء, والسعي الدؤوب نحو التمايز والانتشار هو الذي دب الروح في ذلك الجنين, وهيأ لولادته وانتشاره.

لقد فرضت اللغة الأدبية المشتركة على الشاعر تحاشي الخواص اللهجية القبلية فيما يلقيه من أشعار في الأسواق الأدبية التي كانت معروفة آنذاك. ثم جاء القرآن الكريم ليحافظ على وحدة اللغة, ونقل اللغة الأدبية من حدود الأسواق إلى كل بيت وإلى كل فرد على وجه الجزيرة العربية, وحيثما نطق بالعربية أيضا.

يلاحظ قارئ القرآن أن اللغة القرآنية تخلو من الوعورة في الألفاظ, والغرابة في الأصوات, والثقل في الجرس, إذ إن هناك انسجاما صوتيا واضحا في لغة القرآن وكلماته. كما أنها جاءت ـ منذ بدايتها ـ ناضجة مستوية على سوقها, بعكس اللغة الشعرية التي مرت بمراحل عديدة لتنضج وتكتمل.

كما يمكن للقارئ أن يلاحظ أنّ الصورة البلاغية في القرآن الكريم تتسم بالديمومة والصلاحية لكل الأزمنة مهما تعاقبت, وفي المقابل فإن هناك الكثير من الصور البلاغية في الشعر لم تعد صالحة للتمثيل أو الاستعمال.

تعتبر القراءات القرآنية مرآة صادقة لما كانت عليه ألسنة العرب قبل الإسلام. وإن البحث في اللهجات العربية يقتضي بالضرورة دراسة القراءات القرآنية. ولقد كان القراء على معرفة واسعة في العربية ووجوهها, علاوة على شهرتهم بالضبط والدقة والإتقان. ولم يكن

القراء يمثلون بيئاتهم اللهجية تماما, لأن القراءة تقوم على الرواية, وأصدق مثل على ذلك ابـن كثير قارئ مكة.

اعتمادا على ما تقدم فإن القراءات القرآنية تعتبر آصل المصادر جميعـا فـي معرفـة اللهجات العربية. وإن ما ذكره النحاة من تخريجات لأشعار خرج قائلوها على بعـض القواعـد النحوية, قد وضحتها القراءات وبينت أصولها اللهجية, وأنها ليسـت مـن بـاب الضـرورة أو المناسبة كما قال النحاة.

وفي النهاية نقول: لا يمكن لشخص مهما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يحـيط إدراكـا بنص القرآن؛ لأن النص القرآني معجز, وفهمه يتطلب مدارك خاصة قد لا يصل إلى إدراكهـا بشر, بل ــ قطعا ــ يعجز عن الوصول إليها بشر, وخاصة أنهم موضع التحدي. ولا يعني ذلك أن فهمه مستحيل, أو غير ممكن, بل سهل وفي متناول كـل مـن يعـرف أسـاليب العربيـة ومقاصدها, لكن المستحيل هو الإحاطة والإدراك الشامل للنص القرآني, الذي يظل ــ مهما علا المخاطب في إدراكه ــ عصيا عزيزا معجزا.

أخيراً فإن دافعي لهذا البحث هو مرضاة الله, فما كان فيه من إحسـان فمـن الله نعمـة وفضلا, وما كان فيه من إساءة فمن نفسي قصورا وعجزا.

واستغفر الله العظيم وأسأله حسن العاقبة في الأمور كلها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم.

الآمدي, أبو القاسم حسن بن بشر, **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**, تحقيق: السيد احمد صقر, جمهورية مصر العربية, دار المعارف, (د. ت).

أبو زيد القرشي, محمد بن أبي الخطاب, (1986). **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**, ط2, تحقيق: محمد علي الهاشمي, دمشق، سوريا, دار القلم. وكذلك طبعة دار الكتب العلمية, ط2, بيروت، لبنان, (1999). شرح وضبط وتقديم: علي فاغور.

الأصفهاني, أبو القاسم الحسين بن محمد, **المفردات في غريب القرآن**, تحقيق محمد سيد كيلاني, بيروت، لبنان, دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع, (د.ت).

الأصمعي, عبد المالك بن قريب, (1964). **الأصمعيات**, تحقيق وشرح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون. ط2, دار المعارف بمصر.

الألوسي, أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي, (1985). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**, ط4, بيروت، لبنان, دار إحياء التراث العربي.

الأندلسي, أبو طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري, (1985). **العنوان في القراءات السبع**, ط1, تحقيق: زهير زاهد و خليل العطية, بيروت، لبنان, عالم الكتاب.

الأندلسي, محمد بن يوسف الشهيربابي حيان, (1993). **تفسير البحر المحيط**, ط1, تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين, بيروت، لبنان, دار الكتب العلمية.

ابن الجزري, (1932). **غاية النهاية في طبقات القراء.**

ابن خالويه, أبو عبد الله الحسين بن احمد, (1979). **الحجة في القراءات السبع**, ط3, تحقيق: عبد العال سالم مكرم, بيروت، لبنان, دار الشروق.

ابن فارس, أبو الحسن احمد, (1963). **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**, ط1, تحقيق وتقديم: مصطفى الشويمي, بيروت، لبنان, مؤسسة بدران للطباعة والنشر.

ابن كثير, إسماعيل بن كثير القرشي, (1969). **تفسير القرآن العظيم**, بيروت لبنان, دار المعرفة للطباعة والنشر.

ابن منظور, جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري, (1990). **لسان العرب**, بيروت, دار صادر.

ابن, قتيبة, عبد الله بن مسلم: **تأويل مشكل القرآن**, شرحه ونشره: أحمد صقر, ط3, بيروت, دار إحياء الكتب العلمية, (1981). وكذلك طبعة مطبعة عيسى البابي الحلبي, (1954). **الشعر والشعراء**, ط2, تحقيق: مفيد قمحية, بيروت, دار الكتب العلمية, (1985).

تفسير الطبري, (جامع البيان في تفسير القرآن), بيروت, دار المعرفة, 1983. وكذلك طبعة بيروت، لبنان, دار الفكر, (1998).

الجاحظ, أبو عثمان عمرو بن بحر, **البيان والتبيين**, بيروت، لبنان, دار الكتب العلمية, (د.ت).

الدمياطي, البنا, (1285 هـ). **إتحاف فضلاف البشر بالقراءات الأربعة عشر**, القسطنطينية.

ديوان أبي تمام, (1968). ط1, الشركة اللبنانية للكتاب.

ديوان أبي نواس, (1992م). تحقيق: بدر الدين حاضري ومحمد حمامي, ط1، دار الشرق العربي, بيروت، لبنان.

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس, (1987). شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين, ط1, مكة المكرمة, دار الباز للنشر والتوزيع.

ديوان بشار بن برد, (1950). محمد الطاهر بن عاشور, القاهرة, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ديوان حاتم الطائي, (1980). دراسة: فوزي عطومي, بيروت، لبنان, دار صعب.

ديوان الحطيئة, بيروت، لبنان, المكتبة الثقافية, (د. ت).

ديوان طرفة بن العبد, (1975). شرح: الأعلم الشمنتري, تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال, مطبعة دار الكتاب.

ديوان طرفة بن العبد, (1980). تحقيق: فوزي عطوي, بيروت، لبنان, دار صعب.

ديوان عبيد الأبرص, بيروت، لبنان, دار صادر, (د. ت).

ديوان عبيد الله بن قيس, (1958). تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم, بيروت، لبنان, دار صادر للطباعة والنشر.

ديوان علقمة بن عبده, (1996). شرحه وعلق عليه وقدم له: سعيد نسيب مكارم, ط1, بيروت، لبنان, دار صادر.

ديوان عمر بن أبي ربيعة, تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الأندلس, (د. ت).

ديوان عنترة بن شداد, (1992). تحقيق: بدر الدين حاضري, ومحمد حمامي, ط1, بيروت، لبنان, دار الشرق العربي.

ديوان كثير عزة, (1994). شرحه: عدنان زكي درويش, ط1, بيروت، لبنان, دار صادر.

ديوان المتنبي, (1987). شرح: أبو البقاء الكعبري, بيروت، لبنان, دار المعرفة للطباعة والنشر.

ديوان امرئ القيس, (1958). بيروت، لبنان, دار صادر.

ديوان النابغة الذبياني, (1560م). دار صادر, بيروت، لبنان.

ديوان النابغة الذبياني, (1969). ط1, تحقيق: فوزي عطوي, بيروت، لبنان, الشركة اللبنانية للكتاب.

ديوان النابغة, شرح وتعليق حنى نصر الحتي, (1996).

ديوان الهذليين, (1965). القاهرة, الدار القومية للطباعة والنشر.

الرازي, الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين, (1992). **المحصول في علم أصول الفقه**, ط2, دراسة وتحليل: طه جابر فياض العلواني, بيروت، لبنان, مؤسسة الرسالة.

الزركشي, بدر الدين محمد بن عبد الله (1957م). **البرهان في علوم القرآن**, ط1، ج1، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العربية.

الزوزني, أبو عبد الله الحسين بن احمد, **شرح المعلقات السبع**, بيروت، لبنان, دار القاموس الحديث, (د. ت).

السرخسي, الإمام أبو بكر محمد بن احمد, (1993). **أصول السرخسي**, ط1, حقق أصوله: أبو الوفا الأفغاني, بيروت، لبنان, دار الكتب العلمية.

السيوطي, الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر, (1998). **المزهر**, ط1, مج1، ضبطه وصححه ووضع حواشيه, فؤاد علي منصور, بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

السيوطي, الحافظ جلال الدين عبد الرحمن, **الإتقان في علوم القرآن**, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, القاهرة, مكتبة دار التراث.

السيوطي, (1310 هـ). **الاقتراح في علم أصول النحو**, حيدرآباد.

الشاطبي, الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى, (1999). **الموافقات في أصول الشريعة**, تحقيق وتعليق: خالد عبد الفتاح شبل, بيروت، لبنان, مؤسسة الكتب الثقافية.

شرح ديوان أبي تمام, ايليا جلري, (1981م). ط1, الشركة العالمية للكتاب, بيروت، لبنان.

شرح ديوان الأخطل التغلبي, شرح: إيليا حاوي, بيروت، لبنان, دار الثقافة. (د. ت).

شرح ديوان الأعشى, تحقيق: كامل سليمان, ط1, بيروت، لبنان, دار الكتاب اللبناني, (د. ت).

شرح ديوان بشار بن برد, (1957). شرح: محمد الطاهر بن عاشور, القاهرة, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في مجمع اللغة العربية.

شرح ديوان المثقب العبدي, (1996). جمعه وحققه وشرحه: حسن محمد, ط1, بيروت، لبنان, دار صادر.

شرح ديوان الأعشى, تحقيق: كامل سليمان, ط1, بيروت، لبنان, دار الكتاب اللبناني, (د. ت).

شرح ديوان امرئ القيس, (1969). ط2, بيروت، لبنان, دار إحياء التراث العربي.

شرح ديوان جرير, (1995م). شرح: ايليا حمادي, ط2, الشكة العالمية للكتاب.

شرح ديوان زهير, (1986). تقديم وتعليق: سيف الدين الكاتب واحمد عصام الكاتب. بيروت، لبنان, منشورات دار مكتبة الحياة. كذلك شرح الديوان ط2, (1970). شرح وتحقيق: أحمد طلعت, بيروت، لبنان, منشورات دار القاموس الحديث.

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري, قدم له وشرحه: إبراهيم جزيني, بغداد، العراق, مكتبة النهضة, (د. ت).

صحيح مسلم, (1993). ط1, كتاب صلاة المسافرين, باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف, حديث رقم (272), تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, بيروت، لبنان, دار إحياء الكتب العلمية.

الصفاقسي, ولي الله سيدي علي النوري, (1999). **غيث النفع في القراءات السبع**, ط1, بيروت، لبنان, دار الكتب العلمية.

الطبرسي, أبو علي الفضل بن الحسن, (1986). **مجمع البيان في تفسير القرآن**, ط1، بيروت، لبنان, دار المعرفة. تصحيح وتحقيق وتعليق: السيد هاشم الرسول المحلاتي والسيد فضل الله الطباطباني.

الطبري, أبو جعفر محمد بن جرير, (1978). **جامع البيان في تفسير القرآن**, ط1, بيروت، لبنان, دار الفكر.

الفراء, أبو زكريا, يحيى بن زياد, (1983). **معاني القرآن**, ط3, بيروت, عالم الكتب.

القرطبي, أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري, **الجامع لأحكام القرآن الكريم**, مصر, دار الريان للتراث, طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب.

القرطبي, أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري المالكي, (1967). **الجامع لأحكام القرآن**, القاهرة, دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

القيس, أبو محمد مكي بن طالب, (1984). **العمدة في غريب القــرآن**, ط2, تحقيــق وتعليــق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي, بيروت، لبنان, مؤسسة الرسالة.

المبرد, أبو العباس محمد بن يزيد, **الكامل في اللغة والأدب**, بيروت، لبنان, مكتبــة المعــارف, (د.ت).

مسند الإمام احمد بن حنبل, (1998). ط1, الرياض, بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.

المفضليات, (1963), شرح وتحقيق: أحمد شاكر وعبد الســلام هــارون, ط4, دار المعــارف بمصر.

المراجع:

إبراهيم, أنيس, (1976). **دلالة الألفاظ**, ط3, القاهرة, مكتبة الأنجلو المصرية.

إبراهيم, خليل, (1995). **الأسلوبية ونظرية النص**, ط1, بيروت، لبنان, المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

إبراهيم, خليل, (1995). **النص الأدبي ــ تحليله وبناؤه**, ط1, عمان, دار الكرمل.

ابن هشام الأنصاري, (1988). **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**, ط1, بيروت، لبنان, المكتبة العصرية.

أبو زهرة, محمد, **أصول الفقه**, (د. ت).

أبو زيد, نصر حامد,(1996م). **مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن**, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت، لبنان, ط3.

أبو عودة, عودة خليل, (1985). **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن**, ط1, الزرقاء، الأردن, مكتبة المنار.

الأزهر الزناد, (1993), **نسيج النص**, ط1, بيروت, المركز الثقافي العربي.

الأزهري, أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي, (1999). **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**, ط1, بيروت، لبنان, مؤسسة التاريخ العربي.

إسماعيل عز الدين,(1978م). **الشعر العربي المعاصر**, ط3, دار الفكر العربي.

إسماعيل, عز الدين, **الأدب وفنونه** – دار الفكر العربي, القاهرة. د.ت.

إسماعيل, يوسف حسن, (1995). **أصوات النص الشعري**, ط1, الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان.

بدوي, احمد,(1960م). **أسس النقد الأدبي عند العرب**, ط2, مكتبة نهضة مصر بالفجالة.

بسج, أحمد حسن, (1994). **النابغة الجعدي, عصره وحياته وشعره**, ط1, بيروت، لبنـــان, دار الكتب العلمية.

ابن عقيل, بهاء الدين عبد الله, (1972). **شرح ابن عقيل**, شرح: محيي الدين عبد الحميد, ط15, بيروت، لبنان, دار الفكر.

التوينجي, محمد, (1993). **المعجم المفصل في الأدب**, ط1, بيروت، لبنان, دار الكتب العلمية.

الجرجاني, عبد القاهر بن عبد الرحمن,(2001), **دلائل الإعجاز في علم المعاني**, تحقيـــق عبـــد الحميد هنداوي, ط1, بيروت، لبنان, دار الكتب العلمية.

الجطلاوي, محمد محمد يوسف, (1990). **الشعر الجاهلي وأثره في تفسير القرآن حتى نـهايـــة القرن الثالث الهجري**, ط1, بنغازي، ليبيا, منشورات جامعة قاريونس.

جولدتسيهر, (1944). **المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن**, ترجمة: علي حسن عبـــد القـــادر, مطبعة العلوم بالقاهرة.

الحمداني, حميد, (ربيع الآخرة 1422هـ- يونيو 2001م), **التناص وإنتاجية المعاني**, علامات في النقد والأدب, ج40، مج10.

حمداوي, جميل(1997م). **السيميوطيقا والعنونة**, عالم الفكر, الكويت.

الحملاوي, احمد, **شذا العرف في فن الصرف**, بيروت، لبنان, المكتبة الثقافية. (د. ت).

حيدر, فريد عوض, (1999). **علم الدلالة ــ دراسة تطبيقية ونظريـــة**, ط1, القـــاهرة, مكتبـــة النهضة المصرية.

خفاجي, محمد عبد المنعم, (1973). **الشعر الجاهلي**, ط2, بيروت، لبنان, دارالكتاب اللبناني.

الدريني, محمد فتحي, (1997). **المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإســـلامي**, ط3, بيروت، لبنان, مؤسسة الرسالة.

الدقيقي النحوي, سليمان بن بنين, (1985). **اتفاق المباني وافتراق المعاني**, تحقيق: يحيى عبـــد الرؤوف جبر, ط1, عمان, دار عمار للنشر والتوزيع.

الراجحي, عبده, (1996). **اللهجات العربية فـــي القــراءات القرآنيـــة**, ط1, الإســـكندرية, دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع.

رامي, سحر, (ربيع وصيف 1990). **التناص الديني في شعر محمود درويش**, مجلة الشعراء.

رباعي, ربى عبد القادر, (1994). **التضمين في التراث النقدي والبلاغي**, رســـالة ماجســـتير, جامعة اليرموك.

ربايعة, موسى,(1996). ظاهرة التضمين البلاغي, **أبحاث اليرموك**, مج14 ع2.

رضا, علي, **المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها**, بيروت، لبنان, دار الفكر, (د. ت).

رويلي, ميجان, وسعد البازغي, (1996). **دليل الناقد الأدبي**, ط2, المركز الثقافي العربي.

الزرقاني, محمد عبد العظيم, **مناهل العرفان في علوم القرآن**, بيروت، لبنان, دار الفكر, (د.ت).

الزعبي, احمد,(1995م). **التناص نظريا وتطبيقيا**, مكتبة الكتاني, اربد الأردن, ط1.

زيدان, جورجي, **تاريخ آداب اللغة العربية**, (د. ت).

السامرائي, إبراهيم, (1980). **لغة الشعر بين جيلين**, ط2, بيروت، لبنان, المؤسســـة العربيـــة للدراسات والنشر.

السعدني, مصطفى,(1991). **التناص الشعري**, قراءة أخرى لقضية السرقات, منشأة المعـــارف بالاسكندرية.

سلام, محمد زغلول, **تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الهجري**, جمهورية مصر العربية, دار المعارف, (د.ت).

السنجلاوي, إبراهيم, أيلول (1987). دلالة التضمين في خواتم قصائد أبي نواس, **مجلة جامعـــة دمشق**, ج1، ع1، مج 3.

شاهين, عبد الصبور, (1980). **في علم اللغة العام**, ط3, بيروت، لبنان, مؤسسة الرسالة.

شربل, داغر, **التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري وغيره**, مجلة فصول, مج 16, ع1, صيف 1997.

الشعر العربي في نهاية القرن, (1997م). الحلقة النقدية في مهرجان جرش الخامس عشر, تحرير وتقديم: فخري صالح, ط1, بيروت، لبنان, المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

شلبي, محمد مصطفى, (1986). **أصول الفقه الإسلامي**, ط1, بيروت، لبنان, دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الصابوني, محمد علي, (1986). **التبيان في علوم القرآن**, ط2, دار الصابوني.

صالح, صبحي, (1976). **دراسات في فقه الله**, ط6, بيروت، لبنان, دار العلم للملايين.

صالح, محمد أديب, (1993). **تفسير النصوص**, ط4, بيروت، لبنان, المكتب الإسلامي.

طبانة, بدوي, **السرقات الأدبية**, مكتبة نهضة مصر بالفجالة, (د. ت).

عبد التواب, رمضان, (1979). **فصول في فقه اللغة العربية**, ط1, دار المسلم للطباعة والنشر.

عبد الرحمن, فاضل عبد الواحد, (1998). **أصول الفقه**, ط2, عمان الأردن, دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

عبد المطلب محمد,(1992م). **التناص عند عبد القاهر الجرجاني**, علامات في النقد والأدب,ج3, مج1.

عتيق, عبد العزيز: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**, ط3, بيروت، لبنان, دار النهضة العربية للطباعة والنشر. (1980). **علم البيان**, (1974).

العشماوي, محمد زكي, (1979). **قضايا النقد الأدبي الحديث** , بيروت ــ لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

عصفور, جابر, **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**, المركز الثقافي العربي, (د.ت).

العلاف, علي جعفر, (1997م). **الشعر والتلقي – دراسات نقدية**, دار الشروق, ط1.

علامات في النقد والأدب, (شعبان 1420هـ – ديسمبر 1999م). نظرية التناص, ج34، مج9.

عيد, رجاء, ديسمبر(1995م). **النص والتناص , علامات النقد والأدب**, ج8, مج5.

عيسى فوزي, **النص الشعري وآليات القراءة**, منشأة المعارف بالإسكندرية, (د. ت).

غريب القرآن في شعر العرب ـ سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس, (1993), تحقيق: محمد عبد الرحيم أحمد, ط1, بيروت، لبنان, مؤسسة الكتب.

فتح الباري, ط1, (1993). شرح ابن حجر العسقلاني, ج1, حديث رقم (4991), بيروت، لبنان, دار الفكر.

القطان, مناع, (2000). **مباحث في علوم القرآن**, ط11, القاهرة, مكتبة وهبه.

مجاهد عبد الكريم, **الدلالة اللغوية عند العرب**, عمان، الأردن, دار الضياء, (د.ت).

مجدي وهبه, وكامل المهندس, (1979). **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**, بيروت, لبنان.

مجلة فصول, صيف (1997م). مج 16, ع1.

محيسن, محمد سالم, (1986). **المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية**, ط1, الإسكندرية, مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.

مختصر صحيح مسلم, (1996). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني, ط3, مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

مدكور, إبراهيم بيومي, **في اللغة والأدب**, دار المعارف بمصر, (د. ت).

مرتاض, عبد المالك, (1992م). **التناص عند عبد القاهر الجرجاني**, علامات في النقد والأدب,ج3، مج1.

مشتاق, عباس معن,(سبتمبر 2000م). **قراءة في شعرية كرستيفا السلبية**, علامات في النقد والأدب,ج37, مج 10.

مغنية, محمد جواد, (1975), **علم أصول الفقه في ثوبه الجديد**, ط1, بيروت، لبنان, دار العلم للملايين.

مغيض تركي,(1412هـ,1991م). التناص وتحديد مفهومه عند الباحثين العرب, أبحاث **اليرموك، سلسة الآداب واللغويات**, مج9, ع2.

المقدسي, أنيس(1989م). **تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي**, ط8، دار العلم للملايين, بيروت، لبنان.

المناصرة, عز الدين, (1995). **جمهرة النص الشعري**, ط1, عمان, دار الكرمل.

ميخائيل, مسعود, (1994). **جميل بن معمر رائد الحب العذري**, ط1, بيروت، لبنان, الدار العالمية للكتاب.

هلال, عبد الغفار حامد, (1998). **اللهجات العربية نشأة وتطورا**, ط1, القاهرة, دارالفكر.

Al-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Employing of the Poetic Text in Paraphrasing the Koeanic Text

Prepared by

Wae'l Abdullah Hussein Tahaineh

Supervised by
Prof. Yahea Abed Al- Ra'of Japer

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic Language literature Faculty of Graduate Studies, At An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2004

The Employing of the Poetic Text in Paraphrasing the Koeanic Text

Prepared by
Wae'l Abdullah Hussein Tahaineh
Supervised by
Prof. Yahea Abed Al- Ra'of Japer

Abstract

This study tackled with the indication with poetic text in explaining Quranic version .The study consists of a preface and three chapters .The preface talks about the following:

(1) Rooting of versions.

(2) Interrelation of various versions.

(3) Explaining the previous concepts, their indications, and the relations between them now and then.

It also talks about following the development and its size.

First chapter tackles with studying the indications.

It shows linguists’ methods in indication study. It also shows jurists’ methods in textual indications. The term of research goes as the following- studying textual indication method depending on version itself, version mark, version indication and text requirement.

Chapter two is about language of poetry and Qura'n.

As for language of poetry the researcher discussed various Arab dialects and shared language. The language of Qura'n in this research is related to standard Arabic in addition to the Seven Readings of Qura'n. Finally, the researcher compared between language of poetry and the crown of the previous chapters.

Chapter three is about the debatable relation between the version and interrelation in language of poetry and that of Qura'n in

Addition to the "Seven Readings and Arab dialects" -a reading in the dimension of indication and "interrelation of versions".

The researcher showed the clear relation between various readings of Qura'n and Arabic dialects. These readings offer a linguistic material which helps us to understand the Arabic dialects. In fact, these readings are the mirror which reflexes both linguistic and dialectic which dominated and was widely used before Islam.

Moreover, Qura'n is the most authentic of all references in understanding Arabic dialects. This chapter also shows various contrasts between various readings depending on different views of linguistic experts in the field. Towards the end of this chapter the "interrelation of version" is discussed in relation with various readings and dialects, the researcher found different forms of "Interrelation between versions" which are:

a. phonetic.

b. Inflection.

c. Derivative.

d. Grammatical.

e. indicatory and styli.

The researcher sums up the findings of the study. He wrote down the findings, specially those related to various Readings of Qura'n and Arabic dialectics.